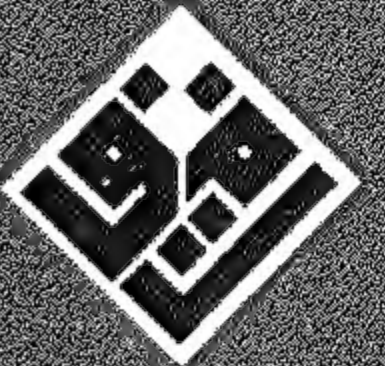


# خمس مسرحيات أندلسية



المشروع القومي للترجمة

66

تأليف: أنطونيوجالا

ترجمة: د. عبد اللطيف عبد الحليم





المشروع القومي للترجمة

## خمسة مسرحيات أندلسية

أنطونيو جالا

ترجمها وقدم

أبو همام

عبد اللطيف عبد الحميد

المجلد  
الأغاني  
للثقافة  
٩٩٨

هذه ترجمة كاملة:-

**PAISA JES Y SIGURAS**

تأليف:-

**ANTONIO GALA**

## الإهداء

إلى صديقي وأستاذي :

الدكتور أحمد هيكل

أنشدك قول أبي بكر الداني الأندلسي :

أراشوا جناحي ، ثم بلوه بالندی

فلم أستطع من حيهم طيرانا

أبوهمام



## مقدمة

ستظل الأندلس مسرحية مأساوية ، تثير قرائح الشعراء والكتاب من عرب وإسبان ، ومن أمم أخرى ، يلتقطون منها الأحداث الانفجارية – وما أكثر هذه الأحداث – فينسجون منها قصيدا ، ومسرحا ، وقصة ، ولوحة ، وتمثالا ، إلى غير ذلك من صنوف الفن وطرائقه .

وأنطونيوجالا – كاتب هذه المسرحيات – شاعر وكاتب مسرحي من قرطبة ، عاصمة الخلافة ، قبل أن يكون من إسبانيا ، ونعني بذلك أنه قرطبي المزاج والشعور والفكر ، ومعارف الأعضاء ، ولعله كان يصف نفسه حين وصف ابن رشد ، في مسرحيته المسماة باسم فيلسوفنا العظيم ، وحين وصف قرطبة وأهلها : «إن طقسك ومناظرك – قرطبة – يكادان يماثلان طقس اليونان ومناظرها أكثر مما يماثلان بابل – وهما يجعلان رجالك هادئين وأذكياء ، وقد لاحظت كذلك أن صوف الغنم الأندلسي أرق بكثير مما هو في بلد آخر ، كذلك بنية رجالك أكثر توازنا كما يشهد بذلك لون سحتهم وصفة شعرهم ، لون

الرجال الأندلسيين ليس في سمرة أهل الجزيرة العربية ، ولا شعرهم له جعودة شعر الإفريقيين ، ولا هو سبط كشعر أمم الشمال ، بل هو متموج حريرى .

هذا التكوين القرطبي الأندلسى عميق التأثير فى أنطونيوجالا وفى رصفائه من شعراء الأندلس وكُتَّابه وهذا الإقليم الجنوبى لا يزال - حتى الآن - أنجب الأقاليم الإسبانية شعراء وفنانين . مما دفع شاعرا كبيرا مثل رفاييل ألبرتى أن ينظم قصيدة عنوانها « الشعراء الأندلسيون » تباع ملحنة ومغناة على أشرطة التسجيل .

وشعراء الأندلس Andalucía ، حين يتغنون ببلادهم إنما يحنون إلى مجد قد أشاح ، وازدهار قد أدبر ، أيام كانت قرطبة عاصمة العالم تحت الحكم العربى ، وهى وغيرها الآن محافظة لأحد الأقاليم ، ويبدو أن الجنوبى هو الجنوبى فى كثير من بلاد العالم ، فالجنوب الأندلسى بعد زوال الحكم العربى أصبح كما مهملا ، ينظر إليه - أيام محاكم التفتيش - نظرة الريبة والتوجس ، فإذا رأينا شاعرا جنوبيا يتغنى ببلده - وما أكثر الشعراء وما أكثر غناءهم - فإنه يحلم بالماضى المزهر ويتمرد على الإهمال الحاضر ،



ولعل فى غنائيات مانويل ما تشادو ورفاييل ألبرتى ،  
وبياسبيسا شاعر الحمراء وغيرهم ما يرشح لهذا الرأى .

ثم إن فى تاريخ الأندلس مواقف كثيرة تحتاج إلى من  
ينفت فيها حياة الفن والشعر ، والعبرة - فى النهاية -  
بالشاعر الحق القادر على استلهاى تلك المواقف .

والتقاط النقاط الدرامية بالنسبة لكاتب المسرح شىء  
شديد الوعورة والأهمية ؛ لأن عدسته تتجاوز التاريخ الميت  
إلى الفن الحى ، دون اعتساف ولا تحميل للأشياء غير ما  
تحتمله طبيعتها ، ودون أن يطمس التعصب المقيت - كما  
هو الحال لدى بعض الشعراء الإسبان - ما هو باق وإنسانى  
بعيدا عن العرق والجنس .

إن للكاتب رسالة إنسانية اقتضته الحياة القيام بها ،  
وتلك جزء من الأمانة التى حملها الإنسان ، ولن تكتمل  
هاته الرسالة إلا باكتمال أدواتها ، أى أدوات الفنان الكاتب ،  
ولن يصلح الموضوع - مهما شرف - أن يخلق كاتباً إذا  
قصرت به أدواته ، مهما أسقط ، ومهما تذرّع إليه بجاه  
الشهرة ، ؛ لأنها شهرة عوراء تسيء إلى صاحبها وإلى  
موضوعه .

كثير من الكتاب العرب حين عالجوا موضوعات أندلسية للمسرح ، لم يحالفهم التوفيق ، برغم تزامم النظارة على مشاهدة مسرحياتهم ؛ لأن بناء الموضوع مفتعل أحيانا ، ولأن المعالجة غير مقنعة أحيانا أخرى ، ولأن العجز التعبيري يصيب الفن الشعري - وهو صعب وطويل سلمه - بالكساح وفقر الدم ، فلا ترى فى النهاية إلا مخلوقاً مخدجاً ، شائه الملامح والشيآت لكن هذا لا يعنى أن كتاب العرب مخفقون مسرحيا ، فمنهم من تجاوز كل هذه الآفات ، أو جلها - فغدا لهم مسرح شعري عن الأندلس يحظى بالتقدير والتعاطف .

بيد أن الآفة عندنا تقابلها آفة أخرى لدى كتاب المسرح الإسبان حين يعالجون الأندلس العربية ، وقد ألحنا إليها قبل ذلك ، ونعنى بها التعصب الذمى ، وتصوير العرب على غير حقيقتهم ، وهم - لو دروا - خلف لذلك السلف العربى أو الأندلسى إن شئت الدقة . من أبرز كتاب المسرح الإسبانى فيما يتصل بالأندلس : خوسيه أوروثكو ، فى مسرحيته السلطانة عائشة ، وفرانسييسكو بياسبيسا ، فى مسرحيته المعتمد بن عباد ، وابن أمية ، وأنطونيو جالا فى مسرحياته التى نقدم لها بهذه السطور ، ومسرحيته



« خاتمان من أجل سيدة » وقد ترجمناها ونشرت في الكويت ١٩٨٤ ، وفي القاهرة ١٩٩٤ .

وصاحبنا « جالا » في كل كتاباته تقريبا يتنفس عبق التاريخ الأندلسي ، ولا تكاد تحس لديه ما يسمم هذا العبق من تعصب وهوى ذميم ، وإن عابه بعض المنتطسين أنه يختار بعض اللحظات الحرجة التي تصم ما هو عربى ، أو بتعبير آخر يقع على لحظات الضعف والانهيال العربى ، ولعل التكثيف الدرامى يقتضى اختيار مثل هذه اللحظات ، ولا تشرب على صاحبنا ولا على غيره من ذلك الاختيار ، لأنه اختيار فنى لا سياسى ولا عرقى ، ثم ما الخشية من نقد التاريخ بوسائل فنية ؟ إن الرجل يناصر قضية « الحرية » فى مسرحه ، نحس بذلك فى مسرحيته عن « ابن رشد » كأنه يدافع عن نفسه ، وعن قيمة الفكر ، والإنسان المفكر ضد الديماغوجية والسلطة المطلقة ، والهوج الذميم ، وضيق الأفق باسم الدين ، وباسم السياسة ، وباسم أى شىء كان ، ويذم الوسائل غير المشروعة التى امتطأها المنصور بن أبى عامر للوصول إلى السلطة فى مسرحيته التى تحمل هذا العنوان « المنصور » ، ونلمح « العاطفية » الشديدة ورقته الفائقة فى حديثه عن الزهراء حديث العاطف الراثى لها ،

وتقف على نظرتة الفاحصة في نقد التاريخ ورجاله في مسرحيته : قصر أشبيلية وقصر الحمراء .

إن التاريخ لدى أنطونيو جالا في هذه المسرحيات شاخص حي « أكثر من شخوصه وحياته في مسرحياته الأخرى ، وكأني به - وهو يكتب هذه الموضوعات - إنما كان يعتمد على التاريخ اعتمادا كاملا ، ونقصد هنا بالتاريخ معناه الاصطلاحي وغير الاصطلاحي ، أي أنه يتمثل ثقافة تلك الفترة تمثلا كاملا ، ويسقط عليها إسقاطات معاصرة ؛ لأن الإنسان هو الإنسان في كل مكان وزمان .

المسرحيات ذوات الفصل الواحد قريبة من فن الشعر أو فن القصة القصيرة . في حاجة شديدة إلى التكثيف الدرامي أو ما أسميناه بالانفجارية ، وقد استطاع جالا أن يقتنص هذه اللحظات المكثفة من غابة التاريخ ، لكنه الاقتناص الذي يذكر بأصلها الشارد ، ونعني بذلك أن العقدة في هذه المسرحيات أو في بعضها - بتعبير أدق - فيها شيء من « الحل » ضد « العقد » مما يجعل المسرحية هنا قريبة أو شبيهة بـ « المقال المسرحي » إن صح هذا التعبير ،



أو « مسرحية المقال » والمقال هنا « فنى » بطبيعة الحال ، نستثنى من ذلك الحكم النقدى حديثه عن « ابن رشد » ففيه العقدة مبرمة ومكثفة ، أما الأخريات ففيها تفاوت ، ولعل مرد ذلك يؤول إلى أن جالا شاعر غنائى قبل أن يكون دراميا ، فغلب غناؤه الشعرى عليه ، وإن كانت المسرحيات هنا نثرا ، وقد نظم هذه الموضوعات أو بعضها شعرا غائيا ، مثله فى ذلك مثل بنى جلده من الشعراء الإسبان قديما وحديثا .

ليست موضوعات أنطونيو جالا هنا عربية بعناوينها فحسب ، بل إن تناوله يكاد يكون عربى الملامح والشيآت ، نلمح هذا فى إنصافه للتاريخ العربى إنصافا يحمده لإنسانيا وفنيا ، ونلمحه كذلك فى تأثره الجيد بالتراث العربى تاريخا وأدبا ، إلى حد نقل أبيات من قصيدة أبى البقاء الرندى النونية المشهورة التى يرثى بها بعض الممالك الأندلسية - وقد ترجمت للإسبانية عن الألمانية ، ترجمها أولا إلى الألمانية فون شاك ، ونقلها عنه خوان باليرا فى وزن قصيدة خورخى مانريكى فى رثاء والده « دون رودريجو » ، وقارن بين القصيدتين ، ويتمثل كذلك فى أخذ جالا آيات من القرآن الكريم - وله أكثر من ترجمة إلى الإسبانية - وفى

أخذه كذلك أبياتا من زجل ابن قزمان - ترجمه إلى  
الإسبانية غرثيه غومث وفيديريكو كورنيطي - لكن جالا  
بجانب هذا الاقتباس الواضح ، كان ينشر بعض الأبيات  
العربية إلى الإسبانية دون أن يلمح إلى ذلك ، وقد وقفنا  
على بعض هذه الأبيات ، يقول أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان :  
لا تلحنى إن غدوت ذا طرب

لما ثنسانى للأنس غريد

طوراً جليد ، وقارة طرب

كالعود منه الزوراء والعود

ترجم لهذا الشاعر ابن سعيد في المغرب ج ١ - ص

١١٠

تحقيق شوقي ضيف ، وترجم له ابن سعيد أيضا في  
رايات المبرزين ، نشر غرثيه غومث ، وترجمه إلى الإسبانية .  
وانطونيو جالا - بلا ريب - أخذ هذا المعنى ونشره في كلامه  
عن ابن رشد . وفي مسرحيته عن الزهراء حديثه الذى أنشأه  
بينها وبين عبد الرحمن الناصر ، يناجى كلاهما الآخر ،  
مأخوذ من بعض أبيات « ابن بقى » حيث يقول :



عاطيته ، والليل يسحب ذيله  
صهباء ، كالمسك الفتيق لناشق  
وضممته ضم الكمي لسيفه  
وذؤابتاه حمائل في عاتقى  
حتى إذا مالت به سنة الكرى  
زحزحته عنى ، وكان معانقى  
باعدته عن أضلع تشنقه  
كى لا ينام على وساد خافق  
ولهذه الأبيات سيرورة فى الأندلس ، عارضها  
كثيرون ما بين مؤيد لهذا المعنى ، وما بين مناقض  
له ، أبرز الفريق الثانى الذى يقول :  
ونم هنيئًا بخفق قلبى كالطفل فى نهنة المهاد .  
والحديث عن ابن بقى فى رايات المبرزين ص ٧٩ ،  
تحقيق النعمان القاضى ، وترجمها غومث كما قلنا آنفا ،  
وقراها جالا وغيره بلا ريب .  
تأثر جالا بالثقافة العربية شعرا ونثرا ، وتاريخا وفقها ،  
لا مريّة فيه ، وهو كثير ، ربما تخرج هذه الكلمة عن إطارها  
لو اقتفيناه ، وفى حاجة إلى فضل بيان - قمنا ببعضه فى  
أماكن آخر .

ومعلوم أن ترجمات المستشرقين – وبخاصة ترجمات غومث – إلى الإسبانية صادفت إقبالا كبيرا من جانب الشعراء والأدباء الإسبان ، ربما للجو الرومانسى الذى ساد إسبانيا فى أواخر القرن الماضى وما يزال حتى الآن ، وإن اختلف تناول الشعراء ، لكن الرومانسية غالبية ، كذلك مهما كان هذا الاختلاف ، فالحنين إلى الماضى لا يفتأ يساور نفوسا كثيرة ، ولا مثلبة فى ذلك لأن المحك هو صدق التجربة وبراعة الأداء .

هذه المسرحيات مثلت كلها فى التليفزيون الإشبانى ولقيت رواجا كبيرا من عامة النظارة ، شاهدت بعضها وأنا فى إسبانيا طالب بعثة ، ولمست صنيعةها فى نفوس الناس وعجبت ، وكان مؤلفها يخشى – كما حدثنى – أن تجابه بالإشاحة والإعراض ، نشر منها « ابن رشد » فقط فى مجلة :

### Nueva Estafeta

وأهدانى الأربع الآخر – على الآلة الكاتبة – حين عرف أننى أزمع ترجمتها إلى لغة قومى .  
وجالا نموذج للأديب الذى يعيش من قلمه – فى أوربا –



لا فى الوطن العربى - وويل لمن تدركه فيه حرفة الأدب -  
فهو يعيش من دخل كتبه . ويكفى أن يعلم القارئ أنه  
طبع من مسرحيته « خاتمان من أجل سيدة » مليون نسخة ،  
وعرضت فى إسبانيا وأمريكا اللاتينية أكثر من « ألف ليلة »  
، وكذلك كثير من كتبه ، وقد انتخب رئيساً لجمعية  
الصداقة العربية الإسبانية ، ترجمت معظم كتبه إلى لغات  
كثيرة ، لكنه سعد بترجمته إلى العربية أكثر من سعادته  
بترجماته الأخرى ، ولعل سعادته هذه أعدتني فسعدت  
بتقديمه إلى القارئ العربى قبل ذلك ، وتتضاعف هذه  
السعادة لأننى أقدمه تقديم الصديق إلى القراء الأصدقاء .

**أبو همام**

المعادى فى ٢٨ من يوليو ١٩٨٦ م .



ابن رشد





( قرطبة من عليّ ؛ المدينة ، الشرقية ، المنازل البيضاء ،  
الأسقف الملكية ، إلخ ، عند النزول نرى ابن رشد ، وهو في  
السابعة والستين من عمره يعبر من عدة أماكن مختلفة  
وهامة مع أناس عاديّين من العصر الحاضر ومنذ اللحظة  
الأولى نستمع إليه ) .

**ابن رشد :** يقولون عنك إنك لست سوى نفاية منك  
أنت ، يقولون عنك إنك لست سوى ظل لما كنته بالأمس .  
يقولون عنك يا قرطبة ، إنك عندما كنت عاصمة العالم  
وصلت إلى درجة بالغة من الجمال ، ما أعسر أن يعتقد المرء  
ذلك حين لا توجد اليوم – وأنت محافظة لأحد الأقاليم –  
أية مدينة تتفوق عليك ، فيك راق الجمال ، وفيك بلغ  
الناس – في سخاء – غاية جهدهم ، فماء نهرك متسربا بين  
شعاب الجبل والقرى عكس بالأمس مدى ثرائك ، ويعكس  
اليوم مدى سكونك ، إن طقسك ومناظرك يكادان يماثلان  
طقس اليونان ومناظرها أكثر مما يماثلان بابل ، وهما يجعلان  
رجالك هادئين وأذكياء ، وقد لاحظت كذلك أن صوف  
الغنم الأندلسي أرق بكثير مما هو في بلد آخر ، كذلك بنية  
رجالك أكثر توازنا كما يشهد بهذا لون سحتهم ، وصفة  
شعرهم . لون الرجال الأندلسيين ليس في سمرة أهل الجزيرة

العربية ، ولا شعرهم له جعودة شعر الأفريقيين ولا هو سبط  
كشعر أم الشمال بل هو متموج حريري ، إتنى أحب كل  
الأندلس من خلال اسمك يا قرطبة ، عندما أكون بعيدا  
عنك كل شيء يبدو لي غريبا حتى أنا نفسي أبدو غريبا ،  
لقد صنتك دائما في سويداء قلبي كلؤلؤ مكنون فيك أود  
أن ألفظ آخر أنفاسي ، وأن يتحلل جسدي ويشكل جزءا  
من ثراك ( يعبر بابا صغيرا ) لأنى هنا - خلال سنوات  
كثيرة - خرجت من الشرقية لأعود مرضاى ، فإن القرطبيين  
من الأمير إلى الخفير أودعوا صحتهم في يدي ، يقولون إن  
المرء إذا نشد لب العصفور يجده فى إشبيلية وفيك يا قرطبة  
من الذى يتجاسر على نشدان لب العصفور ؟ حسب المرء  
أن يتنفسك شاعرا بيدك المعطرة على خده ، وبأنفاسك  
الدافئة على جيده ، كتب الشقندى أن أهل إشبيلية قوم  
ذو خفة وظرف ، ولوذعية وسرعة بديهة ، ويضيف أن  
الإشبيليين على ضفاف نهر الوادى الكبير ، يعزفون على  
الربابة والقانون ، والقيثارة ، والناي ، والبوق ، بينما  
يمزحون ، ويتماجنون مع النبيذ ، أشبيلية اليوم هى عاصمة  
الأندلس ، إتنى أحبها لأننى أحبك أنت ، فإنها بمثابة أختك ،  
ومع ذلك لا أدري لماذا ؟ بيد أنه حين يموت عالم فى



إشبيلية يحملون مكتبته لبيعها فى قرطبة ، وحين يموت  
مغن أو موسيقى فى قرطبة فإنهم يحملون آلاته لبيعها فى  
أشبيلية ( أمام أحد الأعمدة فى بهو البرتقال ) مستندا إلى  
هذا العمود طالما ألقىت دروسى ، قليل هم أولئك الفتية  
القرطبيون الذين لم يأخذوا منى أكثر مما أخذوا من آبائهم .  
أفضل هذا السكون ، أفضل هاته النظرات ، أفضل أن تبقى  
الأشياء فى مكانها هادئة حيث أقامتها القرون . يقولون  
عنى إننى رجل أتجاوز الحدود فى صرامتى ، لأننى لم أصنع  
شيئا غير المدرسة فى الواقع أذكر أننى نسيت الكتب ليلتين  
فقط : أولاهما ليلة موت أبى ، وثانيتها ليلة عرسى ،  
يقولون عنى إننى رجل صارم ، إننى لا أرانى هكذا أعتقد  
أننى فى آن واحد رجل صارم ومرح ، مثل الخشب الذى فى  
وسعك أن تصنع منه قوسا للحرب ، وأن تصنع منه عودا ،  
إنك هكذا أيضا يا قرطبة لذا عندما ذهبت إلى ماوريتانيا  
أو إلى أشبيلية كنت أشتاق إليك كثيرا لأن المرء يفكر جيدا ،  
ويعمل أفضل حين يتنفس الهواء الذى ولد فيه ، إننى  
أشفق على الأندلسيين المنفيين ، ربما لا يذبل رجل آخر  
مثلا يذبل الأندلسى حين يقصى عن سمائه ، عن كسله ،  
عن عطره ، عن طربه ، عن شعوره الصحيح بالحياة والموت .

( أمام باب المسجد ) لقد مررت بهذا القوس مرات لا تحصى  
لأؤم المسلمين فى صلاة الجمعة باعتبارى قاضى القضاة  
( نرى ضوءاً بين غابة الأعمدة الداخلية ) وهنا فى طريقى  
اليوم ليحكم علىّ أنا الذى مارست القضاء أكثر من ربع قرن ،  
وفصلت فى كل أمور هذه المدينة مدينتى ، وحتى الآن  
كانت أحكام قضاة قرطبة الآخرين فى قبضتى : محتسب  
السوق ، وكيل المواريث ، والقائم بأمور المعايير والأثمان ،  
صاحب المدينة ، صاحب ديوان المظالم ، هنالك جالسا فوق  
حشيتى أفصل بالعدل والقسطاس المستقيم ، فليجعل الله  
المقياس الذى يحكم علىّ به اليوم من نفس المقياس الذى  
كنت أحكم به ، وإن كان يبدو لى أنه مجلس أكثر من  
العدد اللازم ، لم تتعود العدالة أن تبنى عشها وسط الزحام  
( ضجة أصوات ، تهتف كلها تقريبا بلا نظام « النظام ،  
النظام » يختفى ابن رشد فى ظلال الأعمدة ) .

**صوت ١ :** القضية الأولى هى عدم نقاء دم ابن رشد ،  
فهل لنا أن نعرف إلى أى قبيلة يُعزى ؟ من الذى يؤكد لنا  
أنه ليس من أصل يهودى ؟

( همس دائم ، وجلبة مستمرة )

**الأصولى :** منذ تسعين سنة كان ابن رشد – جد هذا – قاضيا لقرطبة ، ومنذ ستين سنة كان أبو هذا قاضيا كذلك ، من نحن حتى نحكم على سلاله قضاة ؟  
**صوت ٢ :** ( فى هياج ) هاهنا نحن قادة العسكر فى قرطبة .

**صوت ٣ :** وفقهاء قرطبة

**صوت ٤ :** وقضاة قرطبة

**صوت ٣ :** لقد اجتمعنا هنا بأمر الأمير لنفحص مؤلفاته ، ونقرر الأمر بشأن هرطقته .

**الأصولى :** وعن صحة عقيدته لا ؟

**صوت ٥ :** حذار يا إبراهيم الأصولى ، لا تهو معه بسبب دفاعك عنه .

**صوت ١ :** إننى أتساءل لماذا يسميه النصارى ابن رويث ؟ أليس « رويث » هذا لقبا نصرانيا ؟

**الأصولى :** وليس نصرانيا لقب مردنيش ؟ والملك لب المرسى لب بن مردنيش ، ألم يكن لوبى بن مردنيش ؟  
**صوت ٤ :** لقد كان الملك لب أشد الخصوم عنادا للوكنة الموحدين .



**الأصول :** بيد أن ملكينا أبا يعقوب وأبا يوسف تزوجا ابنتيه برغم ذلك فلا نخلط إذن بين صحة العقيدة وبين البيولوجيا ولا بين الشفقة وبين نقاء الدم ، إننا هنا فى قرطبة حيث تربع التسامح قرونا طويلة فلا نهدمه اليوم .

( وجه ابن رشد بين صخب المجلس )

**صوت ابن رشد :** التسامح . . ألم يبدأ اليوم فى التخلّى عن عرشه ( على أبواب الكنيس ) كان ميمون صبيا - تقريبا ، عندما قابلته ذلك الصباح ومع ذلك لم يكن صباحا جليا ، ولدى أبواب الكنيس ، كان الدمع يجول فى عينيه أوماً إلى أن أدخل .

**صوت ميمون :** أستاذ ابن رشد . . .

**ابن رشد :** ( وهو فى الخامسة والعشرين ) لا تنادنى بلقب أستاذ .

**صوت ميمون :** كانت آخر مرة وطأت فيها أرض الكنيس يا ابن رشد .

لقد أجبرنا الموحدون على الإسلام . وتحول المرء عن عقيدته بسبب الخوف من الموت لن يكون على الإطلاق

تحولا صحيحا ، وقد أعلنوا كراهية اليهود ومنعوكم – أنتم المسلمين – من خدمتنا والتعامل معنا ، وحرموننا من التجارة معكم ، وذبح الحيوانات من أجلكم ، فلا يؤذن لنا بارتداء زى شريف ، ولا يدعونكم تلقون بالسلام إلينا ، وحظروا علينا شراء الكتب العلمية ، حتى ممارسة الطب المفيدة ، وبعد قليل يا ابن رشد سيحرمون علينا التفكير ، ويمنعوننا أن نكون رجالا يا ابن رشد ، سأمضى عن قرطبة .

**ابن رشد :** صبرا ياميمون ، إنك مازلت فتى ، والأمر يتبدل .

**صوت ميمون :** نعم ، تتبدل إلى أسوأ ، سأمضى عن قرطبة ، ليس لى إلا حياة واحدة ، كنت أود أن أودعك ، وأوصيك باحترام الرأى الآخر . والمعاشرة السلمية ، وتبادل الحوار ، والتفريق بين العدو وبين المخالف فى الرأى ، لأن هنالك تكمن أصالة أى علم ، وأى دين مهما كان ، وداعا يا ابن رشد ، حافظ على قرطبة « واحترس من قرطبة » ( مازال أثر الضجة فى المسجد على وجه ابن رشد ) .

**صوت ٦ :** لماذا لم تشرح لنا يا أصولى صداقته

الحميمة بالأمير أبي يحيى شقيق السلطان ؟ ألم تكن تلك  
الصداقة مؤامرة ؟

**الأصولى :** ألم يكن ابن رشد أيضا صديقا حميما  
لأبى يعقوب ؟ أليس اليوم صديقا حميما أيضا لابنه ؟ ألا  
يدعوه أبو يوسف - حفظه الله - أخاه ؟

**صوت ٦ :** إن التقرب من الملوك ذو عاقبة وخيمة  
دائما ، والخيانة تتسلق هوى الحكام المفرط كما يتسلق  
اللبلاب جذع الشجرة .

**صوت ٥ :** إن سوء استعمال الثقة يستلزم ثقة سابقة .

**صوت ابن رشد :** ( يسلط ضوء على وجهه ) كنت  
قد أتممت أربعين سنة حين عين « أبو يعقوب » « ابن طفيل »  
طبيبه الخاص ، وعينه وزيرا ، وكان يعيش فى قصره وقد  
واعدنى ذات أصيل هناك ، وقدمنى للسلطان وكنت شديد  
الارتباك . . .

( قاعة القصر ، وابن رشد فى الأربعين من عمره ) .

**صوت السلطان :** حدثنى ابن طفيل عنك بدون



كلل ، ملحاً على أن لديك نظريات عجيبة ، ولا تتسق دائماً والسنن المرعية ، ماذا ترى مثلاً فى خلق العالم ؟ أهو قديم أو محدث ؟ ( تبدو حيرة على ابن رشد )

إن ابن سينا يعتبر مسألة الوجود بمثابة عرض للجوهر [ يتحدث عن خلق واجب لكائنات عرضية ] وفلاسفة الإغريق لا يرونه هكذا : لأن العرضية تنافى الوجود .

**ابن رشد :** ( متحمساً ) وأنا أيضاً لا أرى هذا يا سيدى . فإن الله خلق العالم منذ الأزل ؛ لأن الإرادة الإلهية لا يمكن أن تحركها علة خارجة عن الذات ، كان العالم دائماً ممكناً ، ومخلوقاً على الدوام ، ومسألة الخلق – كما أرى – أمر واجب ، وإن كانت المخلوقات شيئاً عرضياً .

**صوت السلطان :** إن أرسطو غامض . ليتك تشرح كتبه وتعلق عليها لتنجلى لنا .

**صوت ابن طفيل :** سيدى ليس ثمة رجل أكثر استعداداً لهذا من ابن رشد ولهذا أصررت على إحضاره إليك .

**صوت السلطان :** لو صنعتها يا ابن رشد فسوف

تذكر لك البشرية جمعاء هذه اليد ، إننى اليوم أكتفى  
برجائك إياه .

**ابن رشد** : لست كفؤا لهذا ياسيدى ، ولست أعرف  
اليونانية ، ومؤلفات أرسطو كثيرة جدا ، وجهودى ضئيلة  
جدا .

**صوت السلطان** : حاول هذا يا ابن رشد . ( بينما  
ابن رشد يقبل الأرض بين يديه ) حاوله يا ابن رشد .  
( فى المسجد مرة أخرى )

**صوت ٤** : فى رسالة وجهها إلى أمير المسلمين لقبه  
« بأمير البربر » دون أن يستخدم أى لقب من ألقاب التوقير .

**الأصولى** : ( ثائرا ) ، هذا شيء قد مضى ، وقد  
اتضح الأمر ، قد اتضح ، وفهم أبو يوسف شرحه ، كان  
خطأ من الناسخ ، الذى التبست عليه علامات الترقيم ،  
كتب ابن رشد « ملك البرين » أيتخذ الأمير طبيبه الخاص  
رجلا لا يوقره ؟ .

**صوت ٨** : ولماذا أمر إذن أن نحاكمه ؟

**الأصولى** : ليست محاكمته التى علينا أن نقوم بها ،  
بل أن نرى رأيا ، وبدون صخب .

**صوت ٣ :** فى إحدى رسائله اعتبر النجوم آلهة ،  
وذكر اسم الإلهة فينوس .

**الأصولي :** كان اقتباسا يونانيا ، لقد سرق بعضهم  
من مكتبته ورقة مفردة ، وعرضها على السلطان ، كفى !  
كفى ! إنكم تتبرعون باتهامات كاذبة ، ومنسية ، ودسائس  
ندامى سفيهة ، وبأحقاد وخلافات .

ابن رشد فوق كل هذه الترهات ، ( ضجة ضخمة ،  
يتقدم ابن رشد إلى وسط الضجة ) .

**ابن رشد :** اهدأوا ، اهدأوا ، شكراً لك أيها القاضى  
إبراهيم الأصولي ، شكراً يا صديقى ، بيد أنى أرجوك ألا  
تؤدى شهادة طيبة فى حقى أكثر مما صنعت ؛ حسبك أن  
يتهم أحدهنا ( يتوجه إلى من حوله ) حضرات العلماء ،  
والقادة ، والفقهاء ، إنكم مجتمعون فى هذا المجلس لتقييم  
مؤلفاتى ، وإنها لمعقدة ، وغزيرة حتى أننى لا أذكرها لقد  
كتبت حول كل شىء تقريباً ، تحدثت عن ما هو إنسانى ،  
وعن ما هو إلهى ، وبدون ريب وقعت فى أخطاء علمية ،  
بيد أنى أؤكد لكم أن نيتى كانت دائماً أن أعول على ما

جاء فى القرآن الكريم وما جاء فى تفاسيره الصحاح ، إنكم أنتم أهلى ، كنت طبييكم ، وطبيب أولادكم ونسائكم ، لقد حيا بعضنا بعضا فى شوارع قرطبة ، وتعارفنا ، وصلينا معا ، وتسامرنا معا أحيانا فى هدوء فى منازلكم أو فى منزلى حول آلاف الأمور الهامة ، وتبادلنا الآراء والنظرات ، وكنت قاضى قضائكم ، ودافعت عنكم فى المجلس الملكى ، مهتما بأمور طلاقكم ، وشهاداتكم ، ومواريثكم وتكفلت بأموال الغائبين ، واليتامى ، والقاصرين ، وطلبت منكم أحيانا مشورة فى مجالسى ، وكنتم شهودا على أحكامى وعلى نزاهتى ، وبجانبى هنا توجد وثائق أحكامى ، لم أصنع فى حياتى أكثر من المدارس ، والتأمل ، ومساعدة الذين حولى ، لهذا أقف بينكم هنا بلا خشية ، إننى أومن بالإنسان ، وأثق فيكم ، لأنكم تعرفوننى ، إنكم فقهاء وطنى ، وقضاته ، وقادته .

**صوت ٣ :** ( بعد لحظة صمت خفيفة ) إنك تحدث عن القرآن وتفسيراته ، وتؤكد أن الدين له نواح مختلفة حسب الرجال واستعداداتهم ، وضح ذلك .

**ابن رشد :** أفهم أن ثمة ثلاث طبقات من الرجال ،

كل طبقة يناسبها ضرب من الأدلة . فالعامى يركن إلى إيمان بدون أدلة ، أو بأدلة خطائية ، والفقهاء أهل اقتناع يستخدمون الفكر الجدلى ، وحججا احتمالية ، والفلاسفة أصحاب براهين ، مثلهم الأعلى هو العلم ، يشترطون أدلة لازمة إلى أقصى حد .

**صوت ٣ :** انظروا ، إنه يضع الفلاسفة فوقنا ، نحن الفقهاء ! زندقة !

**صوت ٩ :** فى إحدى المناسبات التقيتُ بالصوفى ابن عربى ، وقد اعترف لك بأن « الحب هو دينى » ، وأنت أجبتة : بأن « العلم هو خير الأديان » .

**ابن رشد :** فى ذلك اليوم شكرت الله كثيرا ، لأننى وقد انكبت على التأمل والمراجعة ، والمباحث العقلية تفردت برؤية رجل – بعينى هاتين – دون مدارس ، ومطالعة وبدون تدريب – ولج جاهلا إلى عزلته الروحية ، وخرج منها وقد أصابته العدوى الإلهية .

**صوت ٧ :** هذا تعبير زندقة .

**ابن رشد :** أتخلى عن هذا التعبير : إنه مجرد استعارة



## **صوت ١٠ : ألا تؤمن بالوحي ؟**

**ابن رشد :** أومن بأن الله يعلم البشر عن طريق الوحي ،  
ما لا يستطيع العقل أن يصل إليه ، بيد أن هذه الحقائق  
العليا التي يحتاج إليها المرء ليعيش نوعان : حقائق مجهولة  
على الإطلاق أى أن إدراكها ليس فى طبيعة العقل ،  
وحقائق مجهولة لطائفة من الناس ليس لديها استعداد كبير ،  
وفى رأى أنه يجب على الإنسان أن يحاول – فى إصرار –  
أن يفهم أسرار الدين .

## **أصوات متعددة : زندقة ، فسوق !!**

## **صوت ٦ : كيف يكلم الله البشر ؟**

**ابن رشد :** بثلاث طرق كما جاء فى القرآن ، بالوحي ،  
أومن وراء حجاب ، أو يرسل رسولا ، وفضلا عن هذا  
الوحي الذى لا يدرك بالعقل ، فثمة طريقة أخرى للحقائق  
الطبيعية فى ذرع الجهد الإنسانى المثقف أن يحصلها ، وليس  
ثمة ما يدعو إلى تعارض العقل والنقل .

## **أصوات متعددة : زندقة ، زندقة !!**

**ابن رشد :** ( يجهر بصوته كى يسمع ) إن المؤمن له

الحق

– بل إنه واجب عليه – أن يتفكر في دينه .

### **أصوات متعددة : فسوق !!**

**ابن رشد :** إن الفكر الفلسفي لا يقودنا إلى نتائج تعارض النقل ، لأن الحقيقة لا تناقض الحقيقة إلا إذا تدخلت عوامل منحرفة مثل التعليم الغلط ، والجهل ، والهوى ، والتحيز . .

### **أصوات متعددة : إنه يهيننا ، إنه يحمل علينا !!**

**صوت ١٠ :** ( محاولا أن يكظم سخطه ) وماذا عن أفكاره المتمردة فيما يتعلق بالنساء ؟

**ابن رشد :** ليست متمردة . لقد كتبت فحسب عن مساواة الرجل بالمرأة في بساطة وأكدت أننا نجهل مهارات المرأة ، لأنها لم تستخدم إلا في الإنجاب ، وبسبب أننا لا نعدهن لأي نشاط إنساني ، فقد صرن يشبهن النبات . وأجد أسباب فقر بلادنا هو عدم أهلية وكسل النساء اللاتي أراد لهن الرجال هذا ، فإذا كنّ ضعفننا في العدد فكيف لا نعتنى بهن ؟

كيف ندعهن ، ولا نسمح لهن فى ظروف نادرة بسوى  
الغزل والنسج ؟

إننى أعجب بالمرأة وأحترمها .

**صوت ٥ :** ويقول إن أفكاره ليست متمردة !

**صوت ٩ :** قد قررت أنه لا يوجد طغيان أشد من  
طغيان العلماء أو الفقهاء .

**صوت ٢ :** وأن الجيش هو حارس الشعب وليس  
صاحبه .

**ابن رشد :** إن هذه الجمل تفهم فى سياقها الذى  
وردت فيه ، إننى فيلسوف يخيل لى أن التُّزُّمْتُ فى الدين  
خطأ ، وأنا رجل أندلسى . . .

**صوت ٢ :** ( مقاطعا ) إنه يجاهر بالقومية الأندلسية  
إزاء دولة الموحدين .

**ابن رشد :** إننى لا أجاهر بشيء . أقول فقط إن  
للأندلس تقاليد راسخة من الحضارة والمعرفة ، ليس من  
الممكن أن تُحكم كما تحكم أقاليم أخرى لا تضاهيها فى  
شخصيتها ، إن الأندلس دائما احتلت محتليها .

**أصوات متعددة :** ماذا تريدون أن تسمعوا أكثر من هذا ،  
هيا بنا إلى السلطان .

**صوت ٦ :** المثقفون فرديون ، ومناهضون للحكومة . .

**ابن رشد :** ليس الأمر هكذا ، أظن فقط أن السلوك الاجتماعي للإنسان لا بد أن يخالف سلوكه الفردي . ففي الوسط الجماعي ما تزال ممارسة الفضائل أكثر حدة ودقة منهج ، بالطبع ليست الدولة في حد ذاتها شيئاً ، إنها جهاز تربوي ، من الضروري أن يكون له هدف لجعل الإنسان أفضل ، عندما كنت قاضياً في ماوريتانيا أغرقتها بالمدارس ، وما كان للدولة هدف إلا هدف أفرادها ، هكذا يكون الخير العام : تحقيق السعادة للمواطنين من خلال رعاية القانون . والخلاف بين المثقفين والحكام يكمن في أن الفريق الأول يتأملون الفضائل المجردة ، وأن الفريق الثاني عملي يحاولون تطبيقها ، إن السياسى يحقق معجزة حقيقية :

إذا حصل على أن يؤدي الناس - وهم أحرار - ما ينبغي عليهم أدائه داخل النظام العالمى . يتطلع الفيلسوف إلى هذا الصراع من بعيد ، لأن ثمة أيضاً في هذا الصدد ثلاثة أصناف من الناس :

الماديون الذين يبحثون عن اللذة والمتعة ، والشجعان الذين يسعون إلى المجد والشهرة ، والعلماء الذين ينشدون العلم ، والصنف الأخير فحسب هو المؤهل حقيقة لقيادة الآخرين .  
( ضجة بالغة )

**صوت ١٠ :** فأمرأؤنا إذن غير شرعيين .

**ابن رشد :** أتقول إنهم غير علماء .

**صوت ٧ :** ما الذى يحقق شرعية السلطة ؟

**ابن رشد :** العفة ، والعلم ، والحكمة .

**صوت ٧ :** على هذا الأساس ينبغي أن يخلع مواطن

مسلم سلطانا غير كفاء ، فاسقا ، أو فاجرا .

**ابن رشد :** الذى يقرر هذا هو أنت . حسب ما أرى

فإن السمة الظاهرة لشرعية حاكم هي علمه . وينبغي أن يصاحبها فضائل أخرى مثل المجد ، والثروة ، والتوفيق ، والقوة .

**صوت ٢ :** إلى هذا كنت أريد أن أصل . هذا

يتعارض مع الجهاد ، فى هذا الوقت الذى نود فيه أن نسترجع الأرض التى تركها المرابطون قبلنا مسلوقة بسبب



ضعفهم ، فى هذا الوقت الذى يطمح فيه شعبنا ببصره إلى وحدة العالم الدينية ، فى هذا الوقت الذى تنهض فيه دولة الموحدين لتبسط سلطاتها ، يرفض فيه ابن رشد فرض العين على كل مسلم الذى نشأنا عليه نحن ، ونشأ عليه آباؤنا من قبلنا والذى خول لنا العظمة والسلطان ، والذى قدم بنا إلى هنا : الجهاد .

**ابن رشد :** لم أنكر هذا الفرض . أنا رجل مسالم ، لكنى لست مستسلما ، ما أقرره هو أنه ربما يتعلق هذا الواجب بأشخاص أهل لتحقيقه .

**صوت ٢ :** أتعبر فلسفتك أرفع منه ؟

**ابن رشد :** أداق بما فى وسعى عن حرية العمل بالنسبة للعلماء ، العمل الصامت ، الشاق ، الملىء بالزهد ، وإنكار الذات ، المكرس تماما لخدمة الجماعة ، افهمونى ، افهمونى ، ( تبلغ الضجة ذروتها . حتى على وجه ابن رشد ) .

**صوت ابن رشد :** كانت ساعة القيلولة ، وكان الحمام يسجع ، وتفوح رائحة الياسمين ، حينما كنت أترجم أرسطو ، فسمعت فى الشارع صوت الزجال الصعلوك هذا المجنون ابن قزمان ، وكان يتسلل صوته فى شئ من الوضوح من خلال النافذة المفتوحة بين عبق

الياسمين الفاغم والورود ، ماذا كان يغنى ؟

**صوت ابن قزمان :** فمثلك أعطى ، ونشط  
للمديح [ وأثار الكراهية والحقد ] (١) ومثلى أخذ وشكر ،  
وانصرف . ( قهقهة )

وإذا مت مذهبي في الدفن

أن نرقد في كرامة بين الجفن

وتضموا الورق على كفن

وفي رأسى عمامة من زرجون

**ابن رشد :** ( في حزن ) في ذلك الوقت لم أدرك ما  
كان يبغى الزجال في زجله أن يبلغه إلى .

**كل الأصوات :** ملعون ، ملعون ( مرة ، مرة ، وفي  
جماعات ) .

**صوت ١ :** باعتبار أن نظريات ابن رشد مؤذية ، فإننا –  
نحن العلماء والفقهاء في قرطبة نناشد أمير المسلمين – حفظه  
الله – أن يعلن هذا الخطر شعبيا ، كما يبتز العضو الأشل من  
جسد الجماعة الأهلية ، ونتيجة لهذا نلتمس من أمير

١ – ما بين معقوفتين أضافه المؤلف على نص ابن قزمان

المسلمين أن يجرد ابن رشد من كل مناصبه ، ومن كل رتبة ،  
ومن كل ثرواته . وأن تحرق مؤلفاته ، تعليما للناس ، وتنكيلا  
بمن يمكن أن يكون من أتباعه والمارقين ، وأن ينفي عن مدينة  
قرطبة .

( من عدة أماكن هامة في قرطبة ، يُقرأ الحكم فقرة فقرة ،  
أحيانا جملة جملة ، وأحيانا أخرى كلمات فقط بين همس  
مستغرب من الناس ) .

**صوت ابن رشد :** ( يغطي على تلاوة الحكم ) لا  
تخدعوا هذا الشعب الرائع ، لا تهيجوه بالباطل ، لا  
تخدعوه أبدا ، إنكم تهزرونه دائما بين موافقته مثل الطفل  
كيلا يزعجكم ، أو بين معاقبته في فظاظة مثل الطفل دون  
أن توضحو له السبب ، تنتقلون من الديماغوجية إلى  
الاستبداد ، احترموا شعب قرطبة هذا ، واحذروه فإنه مثل  
السكين إن لم تحسنوا استخدامه فإنه يقطع أيديكم .

( في ميدان منزو ، وفي الطريق الذي ينادى فيه بالحكم  
شرعوا في إحراق كتب ابن رشد ) .

**ابن رشد :** كل إنسان حين تجرحه التعاسة فإنها تجرحه  
في أعماق أعماقه . وداعاً يا أبنائي : يا أبناء لحمي ، وأيضا أبناء

نفسى أعى أنه فى يوم ما ستنتهى حمى الاتهام هذه ،  
وإفناء عمل الغير العسير ، وستزول هذه البلادة ، وذلك  
الحزن ، وسوف تستمرون من بعدى تحكمون ، وتعملون  
فى قرطبة ، إئننى أدرى ذلك ! هذه مدينة هادئة ، لكنها لا  
تنسى ، وشعبها عادة أفضل من حاكميه ، سيزول هذا  
الحقد ، سينتهى هذا الهوى غير المسوغ للحرب التى تدمر  
قبل كل شىء أكثر الناس منها قربا . وسوف يزول العامل  
الهدام بالنسبة لأولئك الذين يمارسون السلام والعلم  
والحوار، لكنى لن أحيأ حتى أرى هذا ، لن أرى قرطبة بعد  
ذلك ، حبيبتى ولن أرى نجومها الكثيرة السهاد والتى طالما  
كنت أرهاها ، ولا هواءها الذى خبرته فى تآن . ولا هزات  
أرضها التى استطعت أن أعلنها قبل حدوثها ، لن أرى بعد  
ذلك هذه الأرض ، ولا هاته المناظر ، ولا تلك الأم التى  
كانت مهيئة لاستقبالى يا أسفا على قرطبة ، التى تنفى  
علماءها ، وأبناءها البررة ، وتطفئ أنوار الذكاء ، وتشعل  
الجدوة المعادية ، وتنفى شعراءها ، وتمجد الذين يستبدون  
بها . واأسفا عليك ياقرطبة . إنك هجرت الشروع فى الفهم ،  
وكذلك واأسفا علىّ فإننى أفقدك ، واأسفا علىّ حين أكون  
على عتبة الموت يقصوننى عنك ، حين احتجت إلى جوك

يهجر الزرزور شجر الزيتون ، ( يأخذ الصوت في التلاشى )  
وداعا قرطبة ، وداعا ، سأسقى أرضا أخرى بدموعي ،  
ستوارى أرض أخرى هذا الجثمان الذى منحتنى إياه ، وداعا ،  
وداعا .





الزهاء



( يخرج آخر فوج من السائحين بعد رؤية أطلال مدينة الزهراء ، يغلق الحارس باب الدخول من السور ، بعد ذلك يعود إلى مسكنه ، يقترب الغسق ، نستمتع إلى رفرفة حمامة ، بيضاء ، يشوبها سواد على شكل طوق ، تحط فوق أعلى مكان من الطلول ، تترقب ، تتهادى ، تقف ، تختفى وراء تاج عمود أوسارية ، وحين تظهر ثانية نرى الزهراء ) .

**الزهراء :** ( باحثة عن أحد ) عبد الرحمن ، . . عبد الرحمن الناصر . . . عبد الرحمن . . ( فى حزن ) لم تأت اليوم كذلك ، لقد أزهرت أشجار اللوز ألفا وثلثمائة وخمس مرات منذ أن مضيتُ ، منذ أن أغمضت عيني ، ومنذ أن بسطت يدك يا عبد الرحمن مغطيا وجهي بآخر قناع ، ألفا وثلثمائة وخمس مرات اختلفت إلى هذه المدينة حيث أبرمنا معاهدة أنت تنقضها يا عبد الرحمن أين مضيت ؟ أين اختفيت ؟ إن ظلت واقفة هاتيك الأعمدة منذ ذلك الحين ، وتلك المآذن السامقة ، وهذه الجدران المطرزة منذئذ فرما أفكر فى أنك ستخرج ضاحكا من

خلف أحد الأعمدة أو المآذن أو الجدر  
التي اختفيت وراءها كما كنت تلعب  
أوانئذ . . . لكن ماذا بقى هنا مما كان ؟  
حجارة ، حطام ، حجارة آلت حطاما ،  
وحبى ، . . بل حبنا

**يا عبد الرحمن :** فى ذرع الزمن والرجال أن يأتوا على  
أجمل مدينة عرفها الزمان والناس ، بيد  
أنه ليس فى وسع قوة أن تأتى على هذا  
الحب الذى من أجله شيدت هذه  
المدينة ، فوقها يا عبد الرحمن كانت  
تقف الكواكب من أجلى وأجلك ،  
شكراً يا حبى لأن كل شىء تحول فى  
يديك إلى معجزة ، لأننى بجانبك -  
طوال الوقت - أقنعتنى بأن الموت لم  
يكن مدعوا على مائدة أعيادنا : وأننى  
كنت خالدة ، وأنت خالد ، وخالدة  
كذلك أفراحنا ، شكرا يا حبى ، يا عبد  
الرحمن ، من أجل المعاهدة التى  
أبرمتها معا تحت هذا القمر ذاته الذى



كان يفضّض الحقائق ، ويرطب الأبهاء  
بالضياء ، ويتلأأ في الغدران معاهدتنا  
التي أبرمناها أول مساء . . .

**عبد الرحمن :** ( خارج المشهد ) سأبتعد عن كل ما  
يبعدني عنك ، وسأنأى عن كل ما  
يقصيني عنك . . .

**الزهراء :** ( خارج المشهد ) ( كئنه صدى )  
سأنأى عن كل ما يقصيني عنك . . .

**عبد الرحمن :** ( خارج المشهد ) كوني وفية للعهد  
مادمت أنا وفيا : أن تكوني محبوبة  
يقتضيك أن تكوني محبة . . .

**زهرة :** أين أنت يا عبد الرحمن الناصر ؟ آه !!  
ما أقرب ما كنا ، وما أبعد ما نحن اليوم !  
كم مرة حتى الآن على أن أهبط قبل  
أن أستقر من جديد بين ذراعيك ؟ لأنه  
ليس ثمة امرأة كانت محبوبة مثلي ،  
لكن ليس ثمة امرأة كذلك كانت  
عاشقة مثلي .

( منظر لمدينة قرطبة ، ربما من فوق

منارة الكاتدرائية . الجوليليا )

**الزهاء :** أذكر أول مرة رأيتك فيها ، كانت في  
يهو البرتقال بالحامة الكبرى : في مكان  
كان قلب مدينة قرطبة حينما كانت  
قرطبة قلب العالم ، وأنت أول خليفة  
أموي يستقل عن خلافة بغداد ،  
تعايش هنا كل الأجناس ، كل الأديان ،  
يؤمها علماء من فارس ، وبيزنطة ،  
معماريون من دمشق والإسكندرية ،  
موسيقيون ، وشعراء من كل فج عميق ،  
وقرطبة المدهشة المذهلة ، كانت تحتوى  
الجميع ، وكنت الملك الأكثر حرية  
وثقافة في كل الممالك : حيث كان  
الحداد يلبس البياض ، وحيث كانت  
الراية أيضا . . . كان ملوك النصارى  
مثل عمد القرى ، ويعيشون عيشة  
عمد القرى حين يقارنون بك ، كنت  
تلقى هدايا هائلة من ملوك بعداء ،  
وأجمل السبايا من كل الأصقاع . .

وكننت أنا واحدة منهم ، عبد الرحمن ،  
ياحبي . . .

( قريبا من نافورة بهو البرتقال ، خارج  
المشهد كل الحوار الآتى والوقت نهارا )

**الزهاء :** حدث ذات صباح ، استمعت هنا -  
مذعورة - حديثا بلغات شتى . . .

كنت قادمة من البيرة ، قروية ، من  
سييرا نيقادا كنت بين زميلاتي مثل  
شاة تنتظر المدينة ، كانت تسمع  
نواقيس المستعربين ، وأصوات المؤذنين ،  
وكان الهواء يفوح برائحة أزهار  
البرتقال . . .

**عبد الرحمن :** ( خارج المشهد ، كانه يتذكر ) كان  
الهواء يفوح باسمك يا زهاء . . .

**الزهاء :** كان عالما جديدا جدا بالنسبة لى ، قد  
وصلت من جليد جبالى . . وصلت  
فى أبريل ، حيث كانت فى ظلال  
انتصاراتك ، الممتدة حول البهو ، كان  
الفقهاء يقننون العدالة ، والأساتذة

يلقون دروسهم ، والأثرياء يتنافسون  
في مزادات المخطوطات والأعمال الفنية  
الغريبة ، والشعراء الفتيان ينشدون  
قصائدهم الغزلية ، ويطالع العلماء  
متربعين في ضوء الشمس ، والقيان  
يعزفن ويغنين أغنيات من بلادهن ،  
وتشمخ الراقصات بصدورهن في  
الرقصة . . وأنا أنظر كل هذا مذعورة  
مثل شاة تنتظر المذبة ، كنت في  
الخامسة عشرة من عمرى ، وكان  
الهواء يفوح برائحة البرتقال .

**عبد الرحمن :** ( خارج المشهد كانه يتذكر ) كان  
الهواء يفوح باسمك يا زهراء . . .

**الزهراء :** موجة من الضجة ، وحدوث حركة  
مفاجئة ، الخليفة وصل . رأيته عبر  
وجوه كثيرة أخرى ، لم أكن رأيته من  
قبل ، لكنى عرفت من هو . كنت  
أنت يا عبد الرحمن كان يتخلل  
شعرك الذهبى شعرات فضية ، رأيته

هادئا عذبا ، فكرت : « لابد أن يكون  
الملك على هذه الصورة » فجأة وقفت  
الحاشية ، وقفت حين وصلت إلى  
مكاني . وبإيماءة منك أقصيت الذين  
كانوا يفصلون بيننا ، ودون أن تطرف  
عينك ، ودون أن تبتسم ، ودون عجلة  
اقتربت مني مثل من يقصد هدفه  
مباشرة ، ومثلما تشعر شاة بشفار  
المدية شعرت بنظرتك ، أطرقت برأسي  
( تفعل هذه الحركة )

**عبد الرحمن :** ( خارج المشهد ) ما اسمك ؟  
**الزهراء :** ( خارج المشهد ) الزهراء ياسيدي .  
**عبد الرحمن :** ( خارج المشهد ) كل شيء يفوح  
هذا الصباح برائحة الزهر ، هذا الصباح  
كل شيء يفوح باسمك ، ليحفظ الله  
من سَمَّاكَ الزهراء .  
**الزهراء :** ( في المشهد ) سموني بالزهراء حين  
ولدت ، إن قدرى لم يصنع شيئا سوى  
تقبل الاسم الذى خلعه على .

**عبد الرحمن :** ( خارج للشهد ) سأفعل ما يجعل  
لاسمك الذكر الأبدى .

**الزهراء :** ( فى المشهد ) لقد شيدت مدينة  
الزهراء يا عبد الرحمن ، لم تر أعين  
الناس ، وما رأيت ، ولن ترى مدينة  
مثلها .

( مرة أخرى بين الطلول )

**الزهراء :** لقد اتفق كل العالم على أن يشيد  
هذه النادرة امتلأت البحار بالسفن  
المقلعة من أفريقيا وسورية ،  
وإيطاليا واليونان محملة بالهدايا  
من أجل مدينة الزهراء ، وقدم من  
تونس وميديا اليشب الأخضر والوردى ،  
وما بقى من قرطاج أحضروه إلى هنا  
وأرسلت روما الأعمدة ، ومن بيزنطة  
الأحجار السماقية والفسيفساء ، ومن  
طاراجونة ومالقة وألمرية الرخام الخمرى  
والأبيض والمجزع ، لقد آضت مدينة  
الزهراء تاج العالم ، هنا كانت الأحجار



مثل الزهور ، وكانت الزهور أحجاراً  
ثمينة ، لقد رصعت بطانة السقوف  
بلاّئى مجسمة ، وتحت الأرضفة كانت  
السواقى تصدر أنينا على ثمانية وثلاثين  
نمطا مختلفا لكى تثير النفس ، أو تهبها  
الإغفاء ، أو تهددها ، كان فى المدينة  
أكثر من ستة آلاف عمود ، وأكثر من خمسة  
عشر ألف . . .

**عبد الرحمن :** ( خارج المشهد ) سأفعل يازهاء ما  
يجعل لاسمك الذكر الأبدى .

**الزهاء :** فى اليوم الذى أحضرتنى فيه ، فرشت  
الطريق بنشار الذهب والناردين ، والقرفة  
كيلا تلوث الأرض أقدام العبيد الذين  
كانوا يقلون هودجى وهذه هى الغرفة  
التى التقينا فيها أنت وأنا كانت  
أقبأوها العالية مرصعة بالذهب والفضة ،  
هنا كانت البحيرة التى كنت أستحم  
بها ، المشيدة باليشب الأخضر المرصع  
باللآلىء وحولها اثنا عشر حيوانا

مصوغا من الذهب الإبريز ، تلفظ المياه  
من أفواهها ، وعلى إيقاع هذه المياه قلت  
لى ذات يوم . . .

**عبد الرحمن :** ( خارج المشهد ) كم أود أن أفتح  
فؤادى ، وأضعك بداخله ، ثم أغلقه ،  
كيلا تستطيعى السكنى فى غيره حتى  
يوم النشور .

**الزهاء :** هنا عانقتى بعنف يا حبيبى ذات أصيل ،  
وضممتنى ضم الكمى سلاحه ،  
وتدلت ضفيرتاى من عند كتفيك  
مثل حمالتى السيف .

**عبد الرحمن :** ( خارج المشهد ) فى المساء نمت فوق  
قلبى ، وبرفق زحزحتك عن ضلوعى  
كيلا تنامى على وساد خافق . . .

**الزهاء :** لقد نظممتنا يد الحب للسرور والجمال :  
كنا مثل الخرز وكان الحب مثل الخيط ..  
( فى شكوى ) من الذى استطاع أن  
يقطع هذا الخيط يا عبد الرحمن  
يا حبيبى ؟ قل لى من الذى استطاع أن

يتعدى عليك أيها الناصر . . . ( فى  
مكان آخر من الأطلال ) كانت هذه  
هى قاعة سفرائه ، بجدرانها المرمرية  
القوية بزخرفتها المفرغة ، بأبوابها  
الثمانية من الأبنوس والعاج وبطانة  
سقفها مرصعة باليواقيت ، والعقيق ،  
والجزع ، وبحيرة الزئبق الضخمة تبهر  
من كان ينظر إليها ، كما تبهر من  
ينظر إليك يا عبد الرحمن يا حبيبى ،  
أين ذهبت ؟ . . . هنا عذلك نصرانى  
أن تتوله بقينة مثلى وأنا عبر المشربية  
سمعتك تجيبه .

**عبد الرحمن :** ( خارج المشهد ) لو كان فى ذرعى  
أن أسيطر على حبيبى ربما لم أحبها ،  
بيد أن سلطانى لا يصل إلى كل  
هذا ، لست أحبها لحلاوة مقبلها ، ولا  
لوميض عينيها ، ولا لجفونها المراض ،  
لست أهواها لأن من بين أصابعها تثب  
متعتى ، وتلعب كما تلعب الأيام مع

الآمال ، لست أهواها لأن جسدها  
يمثل لى الربيع الوحيد ، لست أحبها  
لأنه حين أراها أشعر بالرى فى الحلق ،  
وبالظمأ الحارق فى الوقت ذاته ، إننى  
أهواها ببساطة ؛ لأنه ليس فى وسعى  
صنع شىء غير أن أهواها .

**الزهاء :** من الذى جذم آصرة روحينا يا حبي ؟  
من الذى حل الأنشودة المعقودة فى  
يدينا ؟ منحوس ، منحوس ، منحوس ،  
كنا فى الغسق جالسین بین زهر  
الأنيمونى بالقرب من السنبلى البرى ،  
وعلى شاطئ البحيرة وارف  
النيلوفر حین سمعنا بوضوح صوتا  
واضحاً يا حبي . . .

**صوت الرجل :** رغبتم فى تشييد مدينة خالدة ،  
رغبتم فى بناء مساكن أبدية ،  
ستعلمون قريبا أن فىء عوسجة يكفى  
لمن يصل مجهدا فى نهاية رحلته ،  
( يسمع صراخ خارج مدينة الزهاء )

( فى خارج المسجد )

**صوت :** إنكم قد آثرتم غضب الله ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه ، وسعى فى خرابها ، أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين ، لهم فى الدنيا خزى ، ولهم فى الآخرة عذاب عظيم ، ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا ، فثم وجه الله ، فاتقوا الله ، ومارسوا السلام مع إخوانكم ، لعلكم ترحمون .

**الزهاء :** ( ذاهبة نحو المحراب ) هنا مكان

مقدس ، كل الناس ذكروا هنا خالقهم أيا كان الاسم الذى أطلقوه عليه ، هنا تعبّد الرومان ، وأمم أخرى خلت من قبلهم ومن قبل النصارى والمسلمين ، ثم من جديد يتعبّد النصارى ، لكنها أمة فى إثر أمة . ومع ذلك فإنه شيء جميل فى مكان مثل هذا ، قريب من النهر ، بين الجبل والقرى أن يعبد

الناس جميعاً مرة واحدة هذا الذى خلقهم على صورته : كل هؤلاء الذين استقروا بجانب النهر العريق بين الجبل وبين الريف ، تبارك الله القدير (مذعورة) الذى يحيى ويميت وإليه النشور .

**صوت :** « وإذ قال إبراهيم ، رب أرنى كيف تحيى الموتى ، قال أو لم تؤمن قال بلى ، ولكن ليطمئن قلبى ، قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ، ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ، ثم ادعهن يأتينك سعياً ، واعلم أن الله عزيز حكيم » .

**الزهراء :** ( بين الأعمدة ) يا عبد الرحمن ، يا عبد الرحمن ، لماذا كل عمود يباين الآخر هل لكىلا ألقاك يا عبد الرحمن ؟ ( بقعة على سطح الممر فى أحد الأعمدة تذكر بوضوح رأس عربى ، تقبله الزهراء ) .



**صوت :** « سبح اسم ربك الأعلى ، الذى خلق  
فسوى ، والذى قدر فهدى ، والذى  
أخرج المرعى ، فجعله غشاءً أحوى »  
سبحوه سبحوه ( أطلال مدينة الزهراء )  
لم يكن هذا بسبب سخط البربر ، بل  
بسخط الله الذى أتى على كل هاته  
العظمة لكى يتذكر الناس أن تسامحه  
ليس مطلقا ، وأن حبه ليس مطلقا  
وكذلك ابتلاءات حبه غير مطلقة .

**الزهراء :** كانت هذه المدينة تسمى الزهراء ، لم  
تدم أكثر من عمر زهرة . لكن ماذا  
يعنيننا ؟ إن حبى لك ليس فى حاجة  
إلى الحياة لكى يظل متوهجا .

**عبد الرحمن :** ( خارج المشهد ) على كل هذه  
الأحجار أمرت أن ينقش حبى لك ،  
فإذا حدث فى يوم ما أن داهمها خراب  
جعل عاليها سافلها فإن كل بقية من  
بقاياها تشهد على الحب ( الزهراء  
تتأمل زهرة فى وسط الأنقصاص )

اقطفى هذه الزهرة الآن وبعد ذلك ،  
بمجرد النظر إليها تتحول إلى لا شيء . . .  
( فى الحدائق المزهرة فى القصر القديم ،  
على شاطئ نهر الوادى الكبير )

**الزهراء :** ذات يوم ، كنت أرى الماء يجرى  
كثيفاً مثل الزيت ، وبين الطواحين قلت  
لى . . .

**عبد الرحمن :** ( خارج المشهد ) لووددت أن أبين  
لك أنه لا أحد فى هذا العالم أحب  
أحدا مثلكما أحبك أنت ، فماذا  
أستطيع أن أفعل ؟

**الزهراء :** ( خارج المشهد ) حدّق فى يا عبد  
الرحمن ، حدّق فى ، إن الله خلق أمته  
على عينه ، حسبى هذا لأعظم الله فى  
نفسى ، ( حاضرة ) هكذا أجبتك .  
. . منذ ذلك اليوم . آه أى نحيب قد  
حملته المياه ، لكنك أصررت .

**عبد الرحمن :** ( خارج للشهد ) ماذا ينقصك يا زهراء ؟  
**الزهراء :** ( كأنها تلعب ) ( خارج المشهد ) إن  
قرطبة مرآة العالم يا عبد الرحمن : عقده  
الفريد ، إنك وهبتها الجمال والسلام :  
هذان هما ينبوعا الحكمة ، لكن قرطبة  
يعوزها شيء ما ، كان لدى في جبل  
إلبيرة قبل أن أعرفك .

**عبد الرحمن :** ( خارج المشهد ) ما هو يا زهراء ؟ قوله  
لى وستجدينه هنا أيضا .

**الزهراء :** ( خارج المشهد ) ليس في الإمكان ، إن  
الله قد صنع بإرادته الجبل والسهل ،  
والحر والقرور ، يطلقون على جبلك هنا  
اسم الجبل الأسمر ، ويطلقون على جبلى  
جبل الثلج ، وأنا منذ طفولتى أقضى  
أصيل الشتاء أرقب فى ذهول سقوط  
البرد ، ولا تعرف قرطبة الجليد ، وأنت يا  
عبد الرحمن ليس فى ذرعك مع كل  
سلطانك أن تجعل قرطبة تثلج .

**عبد الرحمن :** ( خارج المشهد ) ستثلج من أجلك  
يا زهراء ، يا حبي ، سأجعلها تثلج .

**الزهراء :** غطيت بأشجار اللوز جبل العروس  
( جبل المحبوبة ) يا عبد الرحمن وآض  
جبلك الأسمر أبيض من الحب مثل  
العروس ، أبيض مثل جبلي ، وفي  
الصباح حين أرى الجليد المعطر ظننت  
أنى أموت من الحب وكل عام كثيراً ما  
كنت أهبط في اليوم الذي تزهرفيه  
أشجار اللوز لأقدم شكرى . . شكرى  
على حنان جليدك وحرارته يا عبد  
الرحمن ياسيدى ، سيدى ، سيدى  
أنا . .

( فى متحف الآثار صاعدة نحو القاعات  
العربية ) .

**الزهراء :** لا يكاد أحد الآن يتذكر إلا يجد  
شواهد الحب الكثيرة باردة ومرتبة  
ها هو المرمر المهشم حيث أمرت بحفر  
العهد فى أول ليلة : « سأبتعد عن كل

ما يبعدنى عنك « ماذا حدث للجزء  
الآخر ؟ » سأنأى عن كل ما يقصينى  
عنك « . . . الأمر سواء حيث يكون :  
من الممكن أن يتهشم الممر ، لكن  
عهدنا لا يا عبد الرحمن ( أمام مائدة  
عليها جواهر ) إنها جواهرى ، كانت  
جواهرى ، الجواهر الدون ، المحتقرة من  
كل السلب ( ترفع الغطاء الزجاجى ،  
تقلد عقدا ) .

**عبد الرحمن :** ( خارج المشهد ) إن نحرك رقيق جدا  
يازهراء شديد الرقة لدرجة أن جواهر  
الطوق تميل به ( تلبس الزهراء أسورة  
تنسق تماما مع معصمها ) إن جلد  
معصميك هائل الرقة حتى الأساور  
تدميهما .

**الزهراء :** ( تشرب كأسا ) ذات مساء ، تحت  
شمس زعفرانية متكئين على مخمل  
الأس ، مترنحين من السعادة ، لم  
يكن أحد من الملوك مثلك ،

أنا وأنت فحسب يا عبد  
الرحمن ، شربت نبیذا أصهب من  
هذه الكأس ، على حافتها ظلت  
شفتاك بعض وقت . . . ( تكاد  
تبكى ، تجيل شفتيها على دائرة  
الكأس ) ، بعد ذلك حضرت سكرة  
الموت ، وحلم الموت ( تقع الزهراء  
متكئة في إحدى القاعات في أطلال  
مدينة الزهراء ) جاءت ليلة الخطر ،  
والفراق .

**صوت :** لقد اجتنبت ما أمر الله به ، سوف  
يجرفكم بماحقه ، تحاولون التوحد وليس  
ذاك بمتيسر ، لن يدافع عنكم أحد ،  
لأن الله سمك السماء بيديه خلقها  
في راحة وجعل الأرض مشاعا ،  
خضراء ، ذات أنهار عراض ، وأنتم  
أردتم أن تجعلوا لكم وحدكم سماء في  
الأرض .

**الزهراء :** لا شيء يقف أمام قضاء الله ( أصوات



قصة من عبد الرحمن ، فى نشيج  
تنادى الزهراء ( هاته الأصوات أطلقتها  
منذ ألف سنة وأكثر فى هذا الوادى  
رغبنا فى البقاء ، يا حبيبى ، بيد أننا لم  
نستطع ، الإنسان هو بدوى راحل ليس  
فى ذرعه اللبث : الفرار ، الفرار ،  
تذوى الغلال ، ويذبل شجر اللوز ،  
تتلاشى الكلمات ، والفرسان الذين  
امتطوا صهوة الجياد فى خيلاء يهوون  
إلى الأرض ، والأسقف المذهبة تخر  
على الأرض ، والجمال الذى تكلف  
سنين عددا لكى يتم يسف ويسقط  
فى غمضة عين ، لكل أمة أجل إذا جاء  
أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا  
يستقدمون ، لا شىء يقف أمام قضاء  
الله ، لقد دمرت بغداد قبل قرطبة ،  
وأتى الدهر على عاشقين قبلنا ، يا عبد  
الرحمن لم تحسن صنعا أن أطلقت  
على هذه المدينة اسمى ، إن الزهر لا

عمر له تقريبا ، وداعا أيتها الشرفات  
المنطفئة ، والبقايا المجهدة التي شاهدت  
سعادتي ، وداعا شفافية النسيم ،  
وداعا أيها الشهود ، . . سيأتي يوم  
تتجمع فيه عظام الزهراء ، تكتمل فيه  
أنامل أصابعها ، يوم تضغط فيه يداي  
على يدي من هويت ، إذا خسف  
القمر ، وإذا الشمس كورت ، وإذا  
النجوم انكدرت ، حين تخضر وجوه  
من يعيشون الآن ، ويبحثون عن ملاذ  
دون أن يصادفوه . . . لأنني أقسم  
لكم أن الحب لن يموت : إنني من  
الحب وللحب خلقت ؛ لهذا حين  
أعود إلى الحياة – فالأحجار وأشجار  
اللوز ، والمنارات الهاوية ، والرياحين ،  
والنخيل ، والأقواس ، والمعادن ،  
والروعة البائدة – يامدينة الزهراء فإن  
كل بقاياك حيث كانت قصية ، أو  
غائرة ستؤوب إلى مكانها حيث

وضعها الحب ، لأنك يامدينتي  
أنشئت مثلى من الحب وإلى الحب . .  
( إلى الداخل ) وأنتم أيها العشاق  
أحبوا دون أن تضيعوا لحظة واحدة .  
قبلوا ضوء الشمس ، أو ضوء القمر  
( يبدأ الصبح يتنفس ) هذا الضوء  
الذى يبحث عنكم مجتهدا قرونا إثر  
قرون لكنه يبحث عن قبض الريح . . .  
مثلا بحث عنى ولم يلقنى ( تختفى  
الزهراء حقيقة وراء أحد الأعمدة )  
وداعا أيها العالم الذى عشقت فيه ،  
والذى كنت فيه معشوقة ، ( وراء  
العمود تنهض حمامة ، هى التى  
كانت فى البداية ، تطير نحو جهة لا  
ندريها ) .



**المنصور بن أبى عامر**





( فى مسجد قرطبة ، فى الجزء الذى شيده

الحكم الثانى )

**المنصور** : أبو الحسن بن جعفر بن عثمان المصحفى ،

أتبايع هشام الثانى ابن الحكم الثانى

خليفة بفضل الله القادر ؟

**صوت المصحف** : أبايعه .

**المنصور** : ( تأخذ الأصوات فى التلاشى شيئا

فشيئا ) محمد بن حفص بن جابر .

**صوت ١** : أبايعه .

**المنصور** : عبد العزيز بن حدير بن عذارى

**صوت ٢** : أبايعه .

**المنصور** : عبد الله بن برطال

**صوت ٣** : أبايعه .

**المنصور** : أبو إسحاق بن محمد الأفليلى .

**صوت ٤** : أبايعه .

( فى حدائق القصر )

**صباح** : قد عرفتك منذ تسع سنوات يا أبا عامر ،

وما رأيته مطلقا بعيد الغور كما أنت

الآن ، كنت هذا الأصيل رائعا جدا أمام

الناس وأنت تأخذ البيعة ، إننى أحببتك يا  
أبا عامر . . فى أى شىء تفكر ؟  
( متهمكة ) أتشعر بالأسى لموت الحكم ؟  
لم يكن زوجا بل لم يكن رجلا ، من  
الأفضل أن أكون أم الخليفة الجديد .

**المنصور** : خليفة فى الحادية عشرة يا صبح !  
**صبح** : لا تنادنى هكذا ، إن اب أبى أطلق على  
اسم غلام : جعفر ، إن قرطبة تدعونى  
« صبح » وأنا يروق لى أن ينادونى كما  
كانوا ينادوننى فى وطنى البسكى إن اسمى  
أورورا بالنسبة لك .

**المنصور** : فى يوم ما سأغير اسمى أيضا بالنسبة لك .  
فى يوم ما سأسمى نفسى المنصور .  
**صبح** : ( ضاحكة ) المنصور ؟ هذا لقب قائد  
جيش ، ليس لقب رجل سياسى مثلك يا  
أبا عامر يجب أن تدعى « الطموح » وليس  
« المنصور »

**المنصور** : لماذا ؟

**صبح :** لقد وصلت إلى حيث أنت ، حتى أنا  
نفسى لا أكاد أعرف من أين جئت .

**المنصور :** أين أنا ؟

**صبح :** انظر يا أبا عامر . يالأسف إنك لم تر  
نفسك اليوم فى المسجد .

**المنصور ( خارج المشهد ، ناظرا نحو الوادى الكبير )**

هذا الجسر أول ما أذكره من قرطبة ، إننى  
قدمت من طورش بجانب وادى آرو كنت  
فتى يقظا ، قليل الابتسام ، تروق له النساء  
كثيرا . ( ضفة بجانب « أبو العافية » )  
جئت لدراسة الفقه والبلاغة ، فكل أسرتى  
فقهاء ، قليل منها درسوا الطب . كم مرة  
رأيت فيها أصيلا فوق المياه المتباطئة عظمة  
الشمس ، وهى تذهب الربض ، كم حلم  
من أحلام العظمة دون معنى حمله نهر  
الوادى الكبير نحو أشبيلية ، ما أشق أن  
يتطلع إنسان إلى الحكم ولم يولد حتى  
ولو من بعيد فى مدارج العرش  
( مجموعة من الفتيان ) « فتى مجنون ،

محمد بن أبى عامر المعافى ، فتى مجنون «  
كنت أردد هذا بنفسى . وبين رفاق الدرس  
كنت أتعامل كأنى لن أمارس أبدا الفقه ،  
أشم ، قصيا « سيكون أبو عامر قاضى  
قرطبة « وكانوا يرددون هازلين : « أووزيرا ،  
ألا ترون ؟ « ينظر إلينا فى ازدراء « لكن لن  
يكون أبو عامر فقيها صالحا على الإطلاق «  
كان صحيحا : كم كنت أضجر من الفتاوى  
التي لا حصر لها ، والأحكام المحفوظة عن  
ظهر قلب ، وحيل المتفقيهن ( خارج  
كنيسة القديس بارتولوميه ) عند إحدى  
البوابات ، قريبا من القصر ومن النهر نصبت  
مكتب الدعاوى ، هنالك كان يقصدنى  
العوام كى أكتب لهم عرائضهم ،  
التماساتهم ، كتبهم إلى الوزراء أو القضاة ،  
كان يؤلمنى معصمى من الكتابة طوال اليوم ،  
عامين اثنين – عامين فظيعين طويلين –  
قضيتهما هنالك ، أخفقت أحلامى  
فى السلطان ( جدران قرطبة ) تزوجت

ليس يعنينى بمن ، كانت الذلفاء زوجى  
الأولى ، ثم تعاقبت أخريات ، عندما  
قدمونى لأعمل كاتباً فى معية قاضى قرطبة ،  
علمت أن آمالى أخفقت . ( بهو : بيت  
دى لاس ثياس ، أو قصر بيانا ) موظف تافه  
إلى الأبد . مساعد قاض تفوح منه رائحة  
المداد والورق كل الوقت ، معذبا تحت  
الأسقف الخائفة ، بينما السلطان فى الخارج  
يتمطى تحت السماء الرائعة الزرقة ، وكذلك  
المتعة فى أن تكون مطاعا ، لأنه ما هى الحياة  
الحقيقية دون هذا ؟ ثمة أناس أكثر سعادة  
على نمط آخر ، يحيون على ألف طراز من  
الحياة ، لكن عالم السلطة شئ آخر بعيد  
عن السعادة ، ربما فوق السعادة ، شئ لا  
يمكن مقارنته بأى شئ ، شئ يماثل  
سلطان الله ، وتعالى الله عن أن يكون  
بائسا أو شقيا ، إنه القاهر وكفى . . هكذا  
كنت أرى الأشياء ، وحين كنت فى السابعة  
والعشرين من عمرى ، فى ركن أحد الأبهاء

أكتب محضر دعوى دعونى إلى القصر ،  
وتحدث إلى الوزير المصحفى ، حسبت أن  
كل هذا أضغاث أحلام ، مثل حكايات  
الشتاء التى يزعمها الزمنى ، ولا تصلح  
لشئ .

( جدران المسجد الخارجية ، واجهة غربية )  
صوت المصحف : قدم إلى القاضى أسماء كثيرة ، وقد  
اختارت السلطنة - حفظها الله - اسمك  
أنت ، وكافاً الخليفة فى كرم واضح أم ولديه  
الوحيدين : عبد الرحمن وهشام ؛ وعملك  
أن تكون قيما على مالهما .

صباح : فى خلال السنوات التسع التى عرفتك فيها  
ما رأيتك مطلقاً مشغول البال كما كنت  
اليوم ، ما أجمل ما بدوت لى حين رأيتك  
المرّة الأولى يا أبا عامر ، دخلت مقصورة  
الحريم مثل جبريل مشعاً بالضياء ، رغبت  
وقتها أن أدلك أنامل يديك بحجر خفاف  
لكى أتزع منها بقع المداد . . ماذا حدث  
لك اليوم ؟

( جدران عربية جميلة )

**المنصور :** ( خارج المشهد ) وبعد ستة أشهر تقلدت  
دار السكة ، بعد ذلك صرت رئيس الخزانة ،  
وبعدها قاضى لبلة وأشبيلية ، وبعد قليل  
عيننى الخليفة بعد وفاة ولدك الأكبر وكيل  
دار هشام ، كان ذلك حين شيدت منزلى  
فى الرصافة ، وانطلقت الشائعات تتهمنى  
بأننى أهدرت مال الخزانة ، بالطبع أنفقت ،  
كان لابد لى أن أسعد الحريم بادئا بصبح ،  
وبالأصدقاء ، أولى التأثير ، وبالذين من  
الممكن أن يصلوا إلى التأثير ، وبالجواسيس ،  
وبأصحاب الألسنة ، طلبت قرضا كى أسد  
الخلل ، وبهذا طمأنت شكوك الخليفة إلى  
الأبد ، فقلدنى رئيسا للشرطة وبعد أشهر  
قلائل إدارة الفرق التى مضت لحرب  
الأدارسة فى أفريقيا وخلالها عرفت غالب  
قائد الثغر الأوسط ، وعند قفولي عينونى  
مراقبا عاما لجنود الجيش .



**صبح** : أبا عامر ، يا حبي ، ستقول لى ماذا حدث  
لك اليوم أم لا ؟

**المنصور** : بلغت السادسة والثلاثين من عمرى . وكل  
المناصب التى تقلدتها مناصب إدارية بحتة ،  
لا أحد منها يحمل شارة السلطة .

**صبح** : ( ضاحكة ) « الطموح » لقد توسمت فيك  
هذا ، الجو يبرد ، هيا إلى الداخل ( من  
الحديقة يعبرون إلى قاعة داخلية ) . إن  
الوزير المصحفى ، وأنت وأنا الذين بيدنا  
الآن مقاليد الخلافة ( فوق مائدة مرصعة  
علبة شطرنج تشرع صبح فى الإشارة إلى  
قطع سوداء : الملك ) ولدى . ( الملكة ) أنا  
( طابية ) الصقالبة ( طابية أخرى ) وجوه  
الناس . ( حصان ) البريز . ( حصان آخر )  
الجيش . ( فيل ) المصحفى ، فيل آخر .  
( أنت ) .

**المنصور** : يعنينى أيضا الصف الأول . والقطع  
الأخرى البيضاء لست أمثل أية قطعة يا  
أورورا ، كل ما وددته طول حياتى أن أكون

اليد التي تحرك الشطرنج .

( صالة قصر ، من الممكن أن تكون إحدى قاعات المسجد ، أو قاعة القديس فرناندو مثلا ) .

**المنصور :** إن الخليفة مازال حدثا ، وأنت سيدة ، وأنت الحاجب إنكما أنتما اللذان تقرران خطة الملك ، إنهم يقطعون الطريق عليكما وأنتما تعرفان ، وكل قرطبة تعرف هذا ، لقد تواطأ الصقالبة حين مات الحكم ، يريدون تنحية ولدك ، وقد حلنا دون ذلك ، لكن فائق وجؤذر وهما الرأسان مازالا دون عقوبة .

**المصحفي :** في قرطبة ثلاثة عشر ألفا من الصقالبة وهم خطيرون ، متحدون جدا ويحظون بمزايا هائلة منحها إياهم الخلفاء السابقون ، فإن فائق الرئيس الأعلى لفتية هذا القصر ، وجؤذر هو قائد الحرس الخاص ، ولديهما خدم لا يحصون ، إني أخشى . .

**المنصور :** ( مقاطعا له ) إنهما خصيان يا مصحفي ،

مهما تملك أيد خائنة من سلطات فإنها  
تصنع خونة أكثر ، إنكما أنتما اللذان  
يجب عليكما أن تقطعاها ، إننى - فى  
الواقع - مازلت وكيل الأموال ، وأنت  
يامصحفى خذ فى حسابك مواطنيك البربر ،  
وأنت أيتها السيدة وجوه العرب . وأنا  
بتحركاتى وصدقاتى أدرك أن الفكرة تروق  
الشعب كله الذى يمقت الصقالبة  
لعجرفتهم ، وجهلهم ، وقساوتهم . ليس  
الأمر فقط تطبيق العدالة : لكن الأمر هو  
الاختيار منهم ومنكم : الخليفة وأمه  
محجور عليهما فى الواقع . ( مداها )  
حين تخضد شوكتهما من المناسب أن يزهو  
المصحفى بلقب حاجب : إن أوامر الحاجب  
لا ترد . ما رأيكما ؟

**صبيح :** رتب الأمر فى سرية يامصحفى مع فائق  
وجؤذر ليس من الملائم أن تشرح لهما  
السبب : فإنهما يدركان العلة ، إن أبا عامر  
على صواب ، فسحق الصقالبة ليس بداية

رديئة لسياسة مملكة ، وستكون أنت أيضا  
أكثر أمانا .

**المصحف :** إن الله يلهمك ياسيدتى ، وأنا أطيع ،  
شكرا أبا عامر ، فى اليوم الذى أكون فيه  
الحاجب ، فمن مثلك يحل محلى فى  
دست الوزارة ؟ هكذا ينتهى مدرج  
ارتقائك السريع إذ أهنى نفسى أن عاونت  
فيه .

( قاعة فى بيت المنصور )

**المنصور :** ( يطرح طابية الشطرنج )

هكذا رأيكم فى الحاجب الجديد ؟

**صوت ١ :** ليس لأننا فى بيتك أيها الوزير ، فإنك  
تعرف أن قرطبة تعبدك ، إنك عادل ،  
وعظيم ، أما المصحف فإنه بربرى دخیل ،  
وبخیل ، دس أنفه فيما لا يعنيه طوال عهد  
الحكم ، لقد حان الأوان ليذهب .

**صوت ٢ :** إن الأسر ذوات النسب لا تبتلعه ، لقد  
امتأ بالذهب وصار مثل الضفدع فارغا ،  
أسرته خشنه جدا كأنها لم تفارق أفريقيا .

**صوت ١ :** يؤلمنا أن يحكمنا رجل نحتقره .

**صوت ٢ :** بضربة تقضى على المصحف ، يتلقى البربر درسا جيدا ، أولئك البربر المتغطرسون الحمقى مثلما كانوا عليه من حوالى قرنين ونصف حينما قدموا إلى الأندلس .

**المنصور :** إن أسركم - وأسرتى - وصلوا إلى الأندلس بعد قليل من وصول أولئكم .

**صوت ٢ :** نعم . لكن ليس مع طارق : بل مع موسى ، نحن عرب بلديون ، لسنا بربر .

**المنصور :** ( يظهر الالتزام بالأمر ) علينا أن نتعاون مع الجيش ، علينا أن نتعاون مع القائد غالب ، سيفعل ما يمكنه لو ألحقت كثيرا ( القصر الملكى )

**المنصور :** يتكاثر النصارى يا أورورا ، يهاجمون الثغور ظانين أن الخلافة واهنة ، من أجلك ومن أجل ولدك أنا مستعد لصنع أى شىء يا حبيبتي ، دعيني أذهب لقيادة فرقة .

**صباح :** لا يا أبا عامر ، لا أريد مخاطر ، إن مكان وزير هو قرطبة هنا ، والحرب من شأن غالب

يقررها من مدينة سالم حيث هو .

**المنصور :** اسمحي لي أن أذهب أنا ، وأن أكون الذي يطمئنك .

**صبيح :** فضلا عن أن المصحفي يقول إنه ليس لديك خبرة بالحرب مطلقا ويستلزم حشد فرقة تكاليف جساما .

**المنصور :** ياله من بخيل لثيم ، مهما كانت التكاليف ، أتكون حمايتك وحماية الخليفة غالية ؟ من الحسن والحرية أن نحكم أنت وأنا يا أورورا دون وجود المصحفي الممل ، مُريه أن يصرح لي أن أذهب إلى الحرب ضد النصاري بجوار غالب .

( في مدينة سالم )

**المنصور :** عندما رأيتك تحارب في أفريقيا يا غالب أدهشتني ، لم أتطلع إلى شيء سوى أن أكون بجانبك ، أحارب تحت قيادتك ، وأن أتعلم في معركة ضد أعداء الإسلام .

**صوت غالب :** شكرا لك أيها الوزير ، من الذى كان يظن

أن ذلك الإدارى الصغير أو انئذ سيتحول إلى

عمود رايتنا ، راية لا تبقى ساكنة فى قرطبة ،

يرتعد ، بل إنه يخاطر فى الوصول إلى هنا .

**المنصور :** ( يتأمل المنظر ) يالها من أرض مختلفة :

نظيفة باردة ، متميزة ، لرؤية العدو يكفى

الصعود هنا لنكون أعلى منه ، وفى قرطبة

فالعدو - مع ذلك - هو الذى يكون دائما

فى المحط الأعلى ، ما رأيك فى المصحف

أيها القائد ؟

**صوت غالب :** إذا كنت تتكلم عنه ، فليس غريباً لدى أن

تقول إنه فى المحط الأعلى : إنه أكبر متسلق

أعرفه . لو منحنى مكافأة خدماتى كما منح

هو نفسه لم أكن ذلك القائد البائس ، لكن

آه ! فإن رسوم الخدمات يقدرها هو لا أنا .

**المنصور :** كيف يرى الجيش تغييرا فى الحكومة ؟

**صوت غالب :** كما يراه الخليفة ووجوه الناس .

**المنصور :** سأكون فخورا أن أطيعك مثل أحد جنودك .



**صوت غالب : تقدم ( ضجة معركة ) .**

( فى مدينة الزهراء )

**صبح :** مرحبا بك يا أبا عامر ، أحبك أكثر من أى وقت ، لم يدر بخلدى مطلقا أن تكون كذلك بطلا . من كان يظن أن رجلا من سياسى البلاط يعرف كيف يغنم معركة ؟ قرطبة توليك حبا ، وإننى أغار منها .

**المنصور :** أمامك ياسيدتى ، وأمام هؤلاء الحشم أنصب نفسى مديرا لمدينة قرطبة .

**صبح :** بيد أن هذا المنصب يشغله أحد أبناء المصحفى .

**المنصور :** لهذا ياسيدتى . وقد علمت أن أسماء بنت القائد غالب طلقت من الوزير ابن حدير ، أريد أن ألتمس يدها لى .

**صبح :** لكن غالب قد منحها إلى ابن المصحفى الآخر .

**المنصور :** لهذا ياسيدتى !

**صبح :** زوجا أخرى أبا عامر ؟

**المنصور :** سأستعملها لإعلان حرب لن أستطيع أن

أشغل قلبى بها لأنه مشغول بك ( تبسم  
صبح ) المصحفى لا يتعاون معه أحد الآن ،  
إنه يقف وحده . الجيش يفضلنى أنا ،  
ووجوه الناس فى قبضتى ، يريدون أن  
يتبوأوا - فى جنون - المناصب التى لا نهاية  
لها والتى قلدها المصحفى ذوى خاصته .

**صباح :** افعل ما بدا لك أبا عامر .

**المنصور :** ( يطرح فيلا ) المصحفى ياسيدتى .

**صباح :** لم يبق غيرك ، لقد أصبحت صاحب كل  
شئ .

**المنصور :** حتى الآن . لا ، يا حبيبى ، حتى الآن لا .

( عند المحراب )

**صوت Σ :** إننى هشام الثانى ، خليفة قرطبة أمير

المؤمنين - رضى الله عنه - أريد أن أمنحك

- هدية زواجك - لقب الوزير الأول الذى

يفخر بحمله فقط أبو زوجك أسماء ،

غالب الشجاع ، وأن أقلدك منصب

الحاجب الذى شعر بخيانة المصحفى الخائن

( يسجد المنصور باسم )

( داخل دار المنصور )

**صوت Σ :** الذين شلهم سقوط المصحفي يوجهون  
التهمة إليك يناصرهم بعض الصقالبة الذين  
أغضيتهم عنهم ، ومئات من المسلمين  
المارقين ، أما الفقهاء فإنهم لن يدافعوا عنك  
لاعتقادهم أنك غير مؤمن صالح .

**المنصور :** عندما تقطع شجرة لابد من الإتيان على  
جذورها الغائرة .

**صوت Σ :** أسوأ ما في الأمر أن شكاواهم هاته ينظمها  
شعرا الشاعر الرمادي ، والأهاجي حين تنظم  
تكون قوية الإيقاع ، وتبقى محفورة في  
الذواكر .

**المنصور :** ( أمام الشطرنج ) ليشنق جوذر الذي وهبته  
حياته منذ ثلاث سنوات ( يشرع في رمي  
قطع الشطرنج ) ليكون عبرة للمتآمرين ،  
وليقصي كل الرؤوس ، وليقتنع الفقهاء أن  
المخالفين لي يهاجمونني ليس لأنني غير  
مسلم صالح ، بل لأنني سني مدافع عن  
المذهب المالكي . وأن ينتقى وفد منهم -

من بين الأربعة آلاف مجلد تضمها مكتبة الحكم - بعض المجلدات التي يعتقدون أن بها هرطقة وإلحادا وأن تحرق . أو ليتحول المتآمرون إلى تآمر ديني وليس سياسيا . وبالنسبة للشاعر - وهو صوت الشعب - بينما أحاول أن أحمله للتغنى بفكرة أخرى ، فليسكت : بالدينار أو بالنار حسب الذى يريده وأنا - فى ساعات فراغى - بجودة خطى المعهودة سأنسخ القرآن ليكون هذا الانشغال الورع تجربة ونموذجا لكل المدينة هكذا أتذكر أيام كنت كاتباً ( يتهياً حقيقة للقيام بهذا ) إن السلطة فى يدي الآن ، ويبدو لى أن الحفاظ عليها أشق من السعى فى سبيلها ( لوحة الشطرنج تتضح فى الظلام )

**المنصور :** سيكون من المناسب أن ينشغل المرء بالقطع المتناقضة ، إذا كانت هناك واحدة لم تكن متناقضة ، الذى لم يولد حاملاً لقب ملك ويود أن يكون له فعليه أن تكون يده سخية ،

وضميره نقيا ، وأن يحرز نصرا فى الغزوات ،  
سأغزو غزوتين كل سنة ضد النصارى ،  
ليس لأنهم نصارى ، ولا لأن جيوشى  
مبتلاة بهم ، ولا لأن أمراءهم يحارب  
بعضهم بعضا مثل الذئاب ، بل لأننى فى  
حاجة إلى النصر عليهم كل خمسة أشهر  
أوستة ، كذلك فى حاجة إلى أموالهم ،  
للحفاظ على قرطبة سيدة وجميلة وهو  
الشيء الذى يستدعى تكاليف باهظة فى  
هذا العالم ( موسيقى حربية ) سنبداً بالثغر  
الأوسط ( حصن غرماج - إيقاع خطابى )  
من هذه السفينة الراسية فى بحر قشتالة  
نرحل لمحاربة أعداء الله . هذا سيف نهر  
دويرو الفضى لا بد أن يرانا قافلين فى رداء  
المجد ، محاطين بالأسلاب والعبيد ، هذه  
السفينة هى التى اختارها الله للوقوف على  
أعلى مكان ، هنا مفتاح النصر ، هنا  
طلسمه . أرى من حبل شراعها عالم الله  
اللانهاى الذى أهدها إلينا ، فلنأخذه ، لأن

القدر ينبسط انبساط السماء فى أيدى  
الأقوياء ويتضاءل تضاءل الصل فى أيدى  
الضعفاء ، النفير أيها الجنود ، اغتنوا بأموال  
الأعداء ، والتحفوا بالمجد وخلود الذكر ،  
تحيون بقدر ما تقتحمون الموت ، فإن الذين  
يموتون يدفنون بملابسهم ودمائهم ، دون أن  
يغسلوا ، يجيئون وأفواه جراحهم يوم  
القيامة ريحها ريح المسك ( فى نغمة ذاتية  
كأنه يخاطب نفسه ) كيف يُسمع الصمت ،  
لا أريد أن أسمع شيئاً ، أى شيء ، أى  
شيء حتى جرساً ، أو عصفوراً ، أو رياحاً ،  
أريد أن أستمع إلى الصمت فحسب ،  
الذى يسبق الضجة ، القعقعة ، فزع  
الحرب .

( ضجة حرب تنهيها موسيقى من البلاط )

( غرفة من القصر )

**صبيح :** هل قررت شيئاً يا حبيبى بالنسبة لتربية  
ولدى ؟

**المنصور :** انسى هذا يا أورورا ، سأسهر على رعايته

ورعايتك ، فليضحك ويلعب ، وليصل ،  
وليتسل مع حريمه .

**صبيح** : لكنه مازال صبيا بالنسبة للنساء .

**المنصور** : من أجل المتعة ليس صغيرا جدا ، يا حبي  
أنا ، لكن من أجل التعاسة والموت نعم . إنه  
ولد ملكا ، فلندعه يكونه على أفضل  
طريقة ممكنة ، فليملك ، وليتركنى -  
ليتركنا - نحكم . إن الحكم هو الوجه المر  
لعملة الحكم الذهبية .

**صبيح** : لست واثقة يا أبا عامر .

**صبيح** : إن الملكية يا أورورا مصادفة : وأنت - كما  
كنت أمة تعرفين هذا أكثر من أى شخص  
آخر - تدركين أن السلطة قدر ، وهى  
قدرى ، فدعيني أكمل هذه الرسالة .

**المنصور** : ألا يبدو لك أن هذا تحد أن تبدأ فى بناء  
مدينة الزاهرة فى الجانب المقابل من قرطبة  
حيث توجد مدينة الزهراء مدينة الخليفة ؟  
إننى لست أفهمك أبدا يا أبا عامر .



**صـبـح :** الذى يمارس الحكم عليه أن يتمتع  
بالاستقلال .

**المنصور :** لكن الشعب ، وأصحاب الدعاوى ،  
والوزراء ، ودواوينهم والسفراء سيتركون  
مدينة الزهراء ماضين إليك .

**المنصور :** هذا أفضل بالنسبة لهشام ، هكذا فى ذرعه  
أن يستمتع فى هدوء بكل مدينته ، كما  
أتمتع الآن بك .

**صـبـح :** انتظر . فإن غالب أيضا يشكو من تلك  
المدينة ، مرتئيا أن مدينة هى كثيرة بالنسبة  
لحاجب فقط .

**المنصور :** بش الحقد ميزانا ، إن حمى من الذين  
يدافعون عنك ، لكن حين تكونين فى  
المنحدر فقط .

**صـبـح :** والجيش النظامى الذى كونته يا أبا عامر  
يهينه وهو قائد الجيش الآخر .

**المنصور :** جيشه قد انتهى ، لديه بعض فرق يابسة  
وهشة يسير على النظام القبلى ، على حين  
انتهت القبائل بواشجة الدم ، حين يسفك

الذاهب إلى الحرب دمه ، من اللازم أن  
يجدد كله وأن يصلح كله ، فالجنود  
المسرورون والمدفوع لهم جيذا لا يقهرون يا  
أورورا ، على أيضا أن أصلح غالب .

( فى قمم أتينشة )

**صوت غالب :** محمد بن أبى عامر خائن بنى أمية ، وإننى  
— غالب — أتحداك أمام الله لأبرئ دينى ،  
وشعبى والخليفة الذى أسرته من حكمك  
المخادع ( يخيم صخب حرب على المنظر ،  
ثم يهمد ) .

**المنصور :** أطيحوا برأسه ، وابتروا يده اليمنى ، ولا  
تقربوا خاتمه واحملوه فى صندوق إلى  
الزاهرة ، وسلموه إلى زوجتى ، ابنته فإن  
الله هو المحيى وهو المميت ( يطرح الفيل من  
فوق مائدة الشطرنج )

( القصر الملكى )

**صبيح :** يعرفونك فى قرطبة بالاسم الذى قلته لى  
يوما ما : أبو عامر المنصور .

**المنصور :** المنصور بالله منذ الآن فى كل الصلوات ،

وفى كل المآذن ، سيدكرون اسمى إثر اسم  
ولذك ، وفى تشريفات مجالسى سيكون  
اسمى مثل اسمه ، وسوف يقبل الأشراف  
يدى ويدعوننى مولانا .

**صباح :** ( فى صوت خفيض ) السيد . . .

**المنصور :** الخليفة الشاب منذ الآن فصاعدا سيقصر

على أعمال الورع ! لن يخرج من القصر  
( جلبة معركة ) على الآن أن أنشغل  
بالقونت فى قشتالة ، وبملك بنبلونة للذين  
انضموا إلى غالب ضدى ( تأخذ قطع  
الشطرنج البيضاء فى السقوط ) سيمانكاس ،  
روطة ، ليون ، استرجة ، ناخرا ، بنبلونة ،  
برشلونة ، قويمبرا ، سان استيبيان دى  
غرماج ، أوسما . . . ( من جديد فى  
القصر الملكى ) سأزوج بنت ملك بنبلونة ،  
شأنجه غرمى الثانى .

**صباح :** لماذا ؟ أليس لديك ما يكفى من الذرية ،  
ومن النساء ؟

**المنصور :** لا يسرى أبدا دم ملكى فى عروق الأبناء بما

فيه الكفاية ( تشتد جلبة المعركة )

( خارج المسجد )

**المنصور** : أمر بتوسعة المسجد كي يتسع لكل المصلين ،  
فإن سكان قرطبة قد زادوا واطردت كذلك  
زيادة المعتنقين للإسلام ، وسوف يساعدنا  
النصارى طوعاً أو كرهاً في تحمل  
التكاليف .

( القصر الملكي )

**المنصور** : قد خلعت لقب وزير على ولدى عبد  
الرحمن .

**صبيح** : إنه في عامه الثامن فحسب .

**المنصور** : حين كان ولدك في الحادية عشرة كان  
خليفة .

**صبيح** : وزير يلقبه الشعب بشنجول .

**المنصور** : جده هو شانجة ، ملك ناباراً .

**صبيح** : لكن أب ولدى كان خليفة ، الأب والابن  
( ضجة معركة )

**المنصور** : سأبنى بتيريسا بنت برمود الثانى ملك ليون  
.

**صـبـح :** لماذا ؟

**المنصور :** لأننى محتاج أن يدفع النصارى الجزية لى  
( تهوى أخريات قطع الشطرنج البيضاء )

**صـبـح :** كفى . أشرع الآن فى استرجاع نظرى  
وذاكرتى ، سأحدث مع ولدى .

**المنصور :** سأحدث معه أولا ، ( يلقي بملكة الشطرنج  
السوداء فى الفضاء ) لا تخرج السيدة من  
حجراتها دون إذن منى ( يتوجه إليها ) فى  
ذرى أن أقتل ولدك - لن يخسر شيئا -  
لكن ، لماذا ؟ سأنتظر موته ، وسيكون  
أولادى إذن هم الخلفاء ( يلقي بالملك  
الأسود ) .

**صـبـح :** ألم نكن كلنا آلات فى يدك يا منصور ؟

**المنصور :** كنت حبيبة ، وأنت الآن شريكة فى جريمة  
يستغنى عنها .

**صـبـح :** ألا تخشى أن تكون آلة فى يد أخرى أقوى  
منك ؟

**المنصور :** هذا يقرره النصارى : يدعوننى سيف الله ،  
معتقدين أننى المهدي - الذى يجيء قبل

نزول عيسى - جاء يجاهد فى الألف الأولى  
التي يزول العالم بزوالها ، إن لديهم تقويما  
آخر غير تقويمنا .

**صـبـحـة** : احترس أن تنتهى أنت .

**المنصور** : على كل حال سأحمل لقب السيد ، الملك  
الكريم ، سيد عونتى « صاحب الجلالة »  
وأكون « الملك العظيم » .

**صـبـحـة** : ستكون يا منصور إلى الأبد نموذجا  
للقساوة .

**المنصور** : ليس الحكم أن تغمض العيون ، وتسد  
منافذ الرحمة ، الحكم - فى بساطة - لا بد  
أن يمارس ، وأن تذلل له العوائق التي تجابهه .  
الحكم قدر صعب .

**صـبـحـة** : منافق !

**المنصور** : ليس صحيحا . محبرتى ، وقلمي : كانا ما  
لدى . وهو ما بقى فوق المائدة الآن . ( فى  
الواقع ، هوت كل قطع الشطرنج ، يضع  
المنصور فى وسط المائدة محبرته القديمة .

ضجة حرب ) قشتالة ، ناباراً ، جليقية ،  
حتى شانت ياقب دى كومبو ستيللا ، لا  
تقهر ! حتى محج النصارى المأسورين  
عليهم أن يحملوا أجراس كنائسهم ، وكل  
أبواب مدينتهم إلى . إئننى فى حاجة إلى  
قناديل أضعها فى الجزء الذى أضفته  
للمسجد ، أحتاج إلى خشب جاف لأعطى  
السقوف ( تهب ربح عبر بهو البرتقال ،  
يدحرج قطع الشطرنج ، ترتجف عبر شوارع  
الدويلة الخالية فى قلعة النسر ، الحصن )  
لا أحد ، لا أحد . . . بسبب شراهة  
النسر منذ القدم امتدت تلك البطحاء ،  
من أجل نهم النسر ومن أجل النملة . آه .  
أيها الوادى الأخضر الذى خلق للهزائم  
( ميدان أسلحة ، ناظراً إلى أعلى من فوق  
برج المجد ) ما أشد علو السماء ، وما أضالها  
الآن !! ( يهذى ، يدعوونه يسقط فوق  
النعش ) احملونى إلى مدينة سالم .  
( يظل يتمتم حول تغير المناظر ) ، كفنونى



فى ثوب قد غزلته بناتى من كنان اشتريته  
من مالى الحلال : الذى بعت به أرضا كان  
تركها لى آبائى ، وغطوا جسدى بالغبار  
الذى جمعته من فوق دروعى فى المعركة  
خلال خمس وعشرين سنة ، كى يشفع  
التراب للتراب أمام الله . عبد الملك ياولدى  
أنت تخلفنى ، فلا تثق بمن يخاف ، واخش  
من يخشى ، وعاجله بالعقوبة ، وخرج  
ذكورهم باستخدامك ، وألف إنائهم  
جناحك ما استطعت ، ولا تخرج من قرطبة  
الجميلة ، لكن حين يعتاص أمر فحله  
بنفسك ، وإن خفت الضعف فانتبذ  
بخاصتك وغلمانك إلى بعض المعازل  
التي حصنتها لك ، واختبر غذك إن أنكرت  
يومك ، وليحفظنا الله . ( الريح التي ما  
تزال تهب تقلب الحجرة فوق رقعة الشطرنج  
يلوث المداد مربعات مائدة الشطرنج  
الخالية ) .



# قصر إشيلية



**بـدرو :** بعد قليل تبدأ الأزهار تفوح ، بيد أنى  
سأكون تحت الشرى . بعد قليل ستزهر  
الورود . . . ربما تكون هى الورود ذاتها  
التي رأتنا نصل إلى هنا منذ خمس عشرة  
سنة ، عندما لم يكد يتم أحد منا – نحن  
الاثنين – عشرين ربيعاً . . . لعلها الورود  
ذاتها التي رافقتك إلى حيث أنت الآن :  
إلى هذا المكان الذى سكنت فيه عن الكلام  
ثمانى حجج . . . سيزدهر البستان عما  
قليل ، لكن ليس لأجلى ؛ لأننى سأذهب  
باحثاً عنك ، تاركاً الزهور والورود إلى  
الضفة الأخرى من الربيع . . . فى ليون  
اكتشفت عينيك الواسعتين . قبلتهما لأول  
مرة فى ساهاجون ، وفى قرطبة أطبقتهما  
قائلة لى . .

**ماريا :** إنها بُنيَّةٌ يا بدرو . ماذا سيكون مصيرها ؟  
**شاب :** ستكون ملكة على عرش عظيم مثلك يا  
ماريا .

**ماريا :** فليجعلها الله على ضرب آخر . . . لأننى

أمام الملأ لست سوى حظية الملك .

**شباب :** سيحين الأوان الذى تنصبين فيه ملكة الملك .

**بـدرو :** جعلت الحرب كل شىء ضد حبنا ، أمى ،  
والنبلاء والمشير البوركيركى وقلق إخوتى ،  
النغلاء ، والجوار مع فرنسا . . . لقد  
زوجونى بالقوة ببلانكا دى بوربون . . .  
كانت ابنتنا بياتريس لا تكاد تتم ثلاثة  
أشهر ، وكنت أحث الخطى نحو بلد الوليد  
والغبار - أو لم يكن الغبار - يحرق فى  
عينى . أما أنت فقد بقيت فى مونتلبان مع  
الصغيرة بين ذراعيك .

**ماريا :** الآن عرفت حظ حظية الملك دائما .

**شباب :** ( فى ارتجافة ) سيحين الأوان الذى تنصبين  
فيه زوجتى .

**بـدرو :** كان شيئا كالزاح . . . زوجونى ببلانكا دى  
بوربون . لم أقل أنا ولا أحد غيرى إننى  
كنت متزوجا . . كنت جباناً . كنت جباناً  
معك إلى حد كبير يا ماريا دى باديا . ما

اشتكت أبدا ، لقد عرفت كيف تنتزعين  
البسمة من خلال الأسى . . جعلت الحرب  
كل شيء ضد حبنا ، إننى كنت الأول يا  
ماريا . . . لن يتأخر الربيع كثيرا . لكن لن  
يعنينى ذلك . فاليوم أودع إلى الأبد هاته  
الحجرات ، مخدعنا ، العارى مثل الأثاث  
مثل فؤادى . . . أودع هاته الغرف حيث  
حاولنا بالقوة أن نكون سعداء : يافعين تماما  
، ووحيدين تماما . . لقد هويتك أكثر من  
أى شيء آخر فى هذا العالم . مثلما هويت  
قشتالة . . وبعد الحب ، ما يبغيه المحب هو  
أن يشهر حبه ، لكن لم يكن ممكنا . إن  
حبك وسره الذى اكتنفه كانا يعذباننى مثل  
قشتالة . . زوجونى بالقوة ببلانكا دى  
بوربون بينما كنت أقول : نعم فى عقد  
القران ، كنت أفكر فى عينيك . الفاجرون  
الكبار انريكى تراستمارا ، وفديريك رئيس  
الرهبانية الحربية فى شانت ياغب كانوا  
يبتسمون ، هذا المساء قد وقفت على  
السبب . . .



**الشاعر الجوال :** يقول الناس دون أن يعرفوا الحقيقة .

إن الملكة حبلى

من الرئيس الحربى لرهبانية شانت ياغب

دون فديريك دى قشتالة .

وآخرون يقولون إنها نفساء .

**بلانكا :** آه ! من حظ الملكة السيء

أسوأ من أخريات زوجونى بالملك

لأجل كارثتى

فى ليلة زفافى

لم أر ليلة تماثلها .

**بـدرو :** أى حقد يكنه أولئك الفاجرون ! لقد

سلب منى انريكى عندما أتم خمس عشرة

سنة خطيبتى الأولى . خوان مانويل فى هذا

القصر وفديريك حينما كان يصحب من

فرنسا الأميرة ، بلانكا هتك عرضها . . .

إننى أشكره على نحو ما : ففي اليوم الثانى

من الزواج كنت بين ذراعى . . لكن سلامنا

لم يتم عاماً واحداً . هنا . يودع أحداً الآخر .

**ماريا :** إن قشتالة تصيبنى بالسأم . لست أريد أن

أظل بينك وبين قشتالة . فأمام أعين الناس  
بلائكا هي زوجتك .

**شاب :** لكنك زوجتي أمام الله .

**ماريا :** إن الله قد حول عينه عني . . . فلننفصل  
يابدرو ، سأدع القصر : هذا الهواء ،  
ووخامته ، هذا العبق الدائم الذى يفوح  
برائحة الزهر ، وهذا الظمأ الخالد . .

**شاب :** إننى أحبك ياماريا وأنت تحبيننى .

**ماريا :** الملوك لديهم مشاغل جمّة . قشتالة حانقة  
بسببى . إنك تخيب أملها ، فارجع إليها .

**شاب :** وأنت ؟

**ماريا :** سأختفى . فى دير أستوديو ثمة مكان  
شاغر ومن هناك سأشاهد الأرض جرداء وهو  
منظر كدت أنساه . . لحب كبير مثل حبنا  
تكفى سنتان . . ( يرتجف صوتها ) لقد  
أراد الله أن تعرف قشتالة الدم الذى تجشمته  
. . لا تقترب منى . . وداعا . . لا . لا  
تقترب شفقة وإلا فلا أقوى على المضى

وداعاً لها لن يعرف أحد أنني كنت زوجتك  
الحقيقية .

**بـدرو :** قبلت مرة أخرى تضحيتك ، لأن القسم  
الفاسد من قشتالة يحتم ذلك . لكن إلى  
بلانكا دي بوربون لن أستطيع العودة ،  
البوركيري وأعداؤه الفجار تحالفوا ضدي .  
لقد تجمعوا حول بلانكا . وكان اسمها مجرد  
تعلة ، ما كانوا يرغبونه هو السلطة التي  
كنت منحتها إلي أقربائك ، مريدا بذلك  
كشف لعبتهم القذرة : أعلن أساقفة  
شلمنقة وأبيله أن زواجي ببلانكا باطل ،  
فاخترت زوجا أخرى هي خوانا دي كاسترو  
ابنة خالتي كانوا يلقبونها « الجميلة »  
كانت أخت إنيس دي كاسترو التي عذبت  
كثيرا عمي بدرو دي برتغال : إنيس كاسترو  
التي شابهت حياتها كثيرا حياتك أنت . .  
في ذلك الشهر مايو ، ولم يكن مايو  
بالنسبة لي تزوجت في كويار وعند عتبة  
باب الكنيسة تركت قلبي كأنه شيء زائد . .

وبعد بضع ساعات ، ووشيكاً أنبأني  
جوتيرث دى ثيبايوا أنه مسار تاريخي في  
طريقه إلى تغيير ، ففي ريباد يكايا تأمر  
الفاجرون ، وحاجبي القديم ، وكثيرون من  
النبلاء والمتظاهرون بصداقتي ، وإخوة  
زوجتي الجديدة أنفسهم على اجتياح  
قشتالة وعلى خلعي ، وأولئك الذين  
أسديت إليهم من الفضل لكي تهدأ الملكة  
قد باعوني . إنهم ناسك المأسورون . وأنت  
مهجورة ووحيدة ، رفضك كان دون  
جدوى . قبض الريح أساك وندامتى . . .  
دون قناع يتواجه الطموح والحب ! لقد  
كنت الملك ، وكنت أهواك . . . تركت  
خوانا دى كاسترو متزوجة أو لأنها زوجة  
وعلى حافر الخيل مسرعا ذهبت أبحث  
عنك .

**شاب :** ما يجمعه الرب لن يفرقه الإنسان . أنا  
وأنت إلى الأبد ، والآن سوف تدري قشتالة  
– بالقوة – من الملك .

**بـدرو :** اليوم أنا أودع القصر هذا ، لا أميز مسافاته  
بدونك . عما قليل سيفوح العبق فى فراغ :  
لا أنت ولا أنا سوف نحس بعبقه السكران  
الخفى . . . إننى أودع اليوم المكان الذى  
كنت أؤوب إليه بعد المعارك . ذلك المكان  
الذى كنت تعزيننى فيه عن عداوات قشتالة ،  
ذاك المكان الذى كنت تنسيننى فيه أسماء  
هاتيك النساء العابرات وببسماتك كنت  
تقصينهن عنى ، يا صاحبتى ماريا دى باديا  
واليوم ملولاً مكروباً ، أنثر ذكرياتى ؛ لأنها  
كلها تكرب حاشا ما تشاركيننى منها . . .  
ياله من نفق فظ ، ياله من نفق طويل . أنظر  
فيما حولى فلا أرى سوى خيانات ، حتى  
أمى خانتنى . . بكسرة من الخبز تحملها  
إصبعى كنت أستطيع أن أشبع كل رجالى  
الأوفياء فى قشتالة . . آه . حزين ، حزين ،  
فظيع ومحزن أن تكون ملكاً لأنك ولدت  
ملكاً ، وأن تقيم العدالة دون أن تدرى أين

هى ، وأن تعتبر أعداء المملكة أعداء لك .  
.. وأن تكابد دائما الهواجس فى أن تدع  
كل شىء ، وأن تستسلم ، وأن تترك كل  
شىء ، وأن يقصى عن الرأس العرش الخائق ،  
أن تخلد إلى الراحة فى أحضان من تحب . .  
كم هو قاس ومعتم ذلك النفق ، مصير  
الكبار ، لأن عليهم أن يكونوا كبارا فوق  
كل شىء ، لأن الصغار يريدون منهم تلك  
العظمة . . ، خلال أعوام كثيرة كل شىء  
كان مرجل غدر . . حرب فى قشتالة ،  
جرب مع أراجون . قيد اسمى خارجا عن  
الكنيسة ، استدعى الأجانب لحل نزاعات  
عائلية . آه . حزين ، حزين . . ثراتامارا ،  
العاهر يتطلع إلى عرش أسلافى ، يهدد  
راشيا النبلاء الذين يرون فى سوطهم لأن  
سلطانى كان عليه أن ينتزعنى من عينيك  
ياماريا ، وأن أحكم . . أمامى ، ليس إلا  
مواطنون دون مدلول للطبقة ولا للغنى :  
النبلاء والشعب : الكل سواء دون مدلول

دينى ، مسلمون يهود ، نصارى . . .  
كلهم يصنعون المملكة . . محو الامتيازات  
المساواة ، المساواة ، إزاحة القناع عما  
يختفى وراء الشفقة الزائفة ، والحماسة  
الكاذبة . . حزين حزين . . إئننى أرغمت  
سدى أن أصنع بالرحمة ما يجب صنعه  
بالحديد . وأن أصل إلى النتيجة هى أننى  
على - فى قشتالة - أن أراوح بين الاستبداد  
والفوضى . خداعات ، هزييفات شبكة من  
الشكوك حول النفس ، لقد علمونى الحق .  
آه حزين حزين . عما قليل ستبث أشجار  
البرتقال عبيرها بيد أنى لن أراه ، فى النهاية  
سأغمض عينى عن هذا العالم الذى ما  
فهمة جيداً . . .

أرجوحة من الخيانات وضعت العاهر  
فديريك إلى جانبى - ظاهرياً فقط - ضد  
أخيه انريكى الذى تحالفه أراجون كنا فى  
هدنة ، نتكلف سعادة ما شعرت بها ،

استولى فديريك علي خوميا باسمي ، ممزقا  
بذلك الهدنة . . وكنت أنا قد شتت  
جيوشي . . . استدعيته إلى القصر . .  
كان ينبغي الانتهاء . . وفي هاته القاعة  
وثقت في حكم ابن عمي أمير أراجون . .  
وأنت ياماريا ، في هذه القاعة رأيت عينيك  
الجميلتين مغرورقتين بالدموع . كنت أعبد  
عينيك . . والأمير بعد عشر حجج تلقى ما  
يستحقه ، عرض أن يقتل بيديه فديريك .  
. كأنه لا يوجد جنود . حزين جد حزين .  
. كنت ألعب هاته الليلة الدامة وصل  
فديريك في صحبة أخيك رئيس رهبانية  
قلعة رباح المسلحة ، كان الاثنان ينكتان .  
وأنا أمرت صاحب الصولجان . . .

**شاب :** لكن يالوبث . اقبض على رئيس  
الرهبانية .

**لوبث :** أيهما ياسيدي ، صاحب سانت ياقب أم  
صاحب قلعة رباح ؟



**شباب :** صاحب سانت ياقب ، الأخ رئيس

الرهبانية . من الحتم أن . .

**بـدرو :** كان فديريك ينظر إلىّ ، فأطلق منى ،

ودافع عن نفسه ، لكن ذباب سيفه اشتبك

فى دثار رهبانيته الفضفاض . .

**شباب :** اجهزوا وانجزوا !

**بـدرو :** كان يتفادى الطعنات ، ويتجنب الضربات ،

إلى أن طرحه أرضاً أحد المسددين . . كان

يسمع نشيجك بينما كانت فراشة ليلية

تلوب بين شظايا الخشب ، وكانت الورود

فاغمة . كان الجو حارا . . وكان فديريك

يتململ . . رأيت بركة دمه ، من دمي

تنمو فوق المرمر . . حزين حزين دون أن

أودعك لئلا أنظر فى عينيك ، ركبت فرسى ،

وهجرت أشبيليه . . كانت أشجار البرتقال

آنئذ تفوح . . وسوف تفوح أيضا . .

لكنى سأذهب للبحث عنك وراء عرف

البرتقال والزهور فى ضفة الربيع الأخرى ،

لماذا صنعت هذا ياماريادى باديا . كنت  
ذات خمس وعشرين سنة فقط ، كنت  
رقية وعذبة ، كانت عيناك تضحكان قبل  
أن يضحك ثغرك ، كانتا تهددان رأسى  
مثل طفل صغير ، وقد نسيت الدم الذى  
كان ينزف من الجرح ، الأحلام الرديئة ،  
الكوابيس التى كانت تغمر ليلالى  
مخاوفى . . . إنك كنت شطروحي ،  
الشطرا أحب من روحى ، لماذا فعلت  
هذا ؟ قولى لى . ذات يوم من شهر  
يونيو استلقيت فى فراشك ، شاحبة ،  
مرتجفة . . .

**ماريا :** فليفتحوا الباب فالجو حار .

**بدرو :** كان الباب مفتوحا . .

**ماريا :** لا شىء يرى ، لقد اكفهر الجو بسرعة .

**بدرو :** كانت السماء صافية ، وشمس الظهيرة

تتسلل ، وعبق الورود الفاغم .

**ماريا :** لا شىء يرى . . .

**بـدرو :** كنت أنظر إلى عينيك ، عينيك الجميلتين ،  
كانتا طائرین أجنحتهما مفرعة .

**شـاب :** ماريا .

**بـدرو :** لم تسمعينى .

**ماريا :** دائما كنت أحبك ، وإلى الأبد سأحبك .

**شـاب :** لا . من الضرورى أن يعرف الجميع أنك

زوجتى . انتظرى ، لا . من الحتم أن تعرف

قشتالة من هى ملكتها .. اسمعوا اسمعوا .

ماريا دى باديا هى ملكتكم ، وابنها

ألفونسو هو ولى العهد ، وبناتها هن أميرات

قشتالة .. ( فى نشيج ) ماريا هى

ملكتم ...

**بـدرو :** لم تسمعنى أبدا ماريا دى باديا ، كنت

ميتة ، لماذا صنعت هذا ، لماذا ؟ لقد

جمعت مجالس عامة لأعلن فى جلال أمام

الدول الثلاث أن زوجتى الوحيدة كنت

أنت ، وناديت شهود العقد الشرعى أن

يذكروا أننى اقترنت بك .

وبايع مجلس البلاط ابنك – ولم يكن أتم  
عامين – وليا شرعيا لعرش قشتالة . . لم  
تكونى أمام أحد حظية الملك كان اسمك  
مكتوبا فى القائمة المذهبة للملكات ،  
وابنتك بياتريس ستكون أيضا ملكة على  
عرش عظيم ، هل تذكرين ؟ من البرتغال :  
أمرت أن يحضروا جسدك فى موكب وأن  
يكون القداس مما يكون للعاهلات دفنت  
فى مقبرة الملوك فى الكنيسة الكبرى ،  
وأدى كاهن طليطلة طقوس جنازتك ، وقد  
جثا النبلاء أمامك . . متأخرا ، متأخرا ،  
جد متأخر . آه ، متأخرا جدا . . منذ  
وفاتك ، وكل شىء ردىء : كأنك لا  
تريدى قبول التكريم . . . حرب مع  
أراجون . حرب مع الفاجر ، دم ، مرة أخرى  
دم ، موت ولدنا ، لماذا ؟ لم تقبلى أن  
تدعيه فى قشتالة . . والبرتغال ، عادت  
بياتريس عازبة حين رأت كوارث جملة .  
إننى وحيد ياماريا ، لقد تركونى وحيدا

تماما ، احتل انريكي تراتامارا مملكتي .  
لوجرونيو ، سالفاتيرا ، بيتوريا ، واضح أنني  
لا أستطيع الدفاع عنها ، ويطلبون مني أن  
أسلم ناباراً ، لقد أعطيت أوامري - في  
حالة الاضطرار إلى الاستسلام - أن  
يسلموها إلى الفاجر : قشتاله ، ليكن من  
يكون ملكها - لا يجب أن تتشعث . .

اليوم أودع إلى الأبد هاته الغرف . . .  
ولتبق بناتنا محصنات في قرمونة ، وأبنائي  
الذين رغبت فيهم ، لأرى إذا ما كانت  
الحياة متمسكة بي بعد أن رحلت أنت  
سأرحل إلى طليطلة إلى معركتي الأخيرة ،  
أدرى أنني سأموت لكن هذا لا يعنيني ،  
أدرى أن أخي انريكي سيقتلني ، وسيقبض  
على عنان قشتاله ، حسنا ، حسنا ، حسنا  
إنني مجهد : ورجل مجهد لن يكون على  
الإطلاق ملكا صالحا . . أفكر في أن  
السيف يشحذ لأصرع هنا . مرحبا ، وأهلا ،  
دم بدم ، وراحة فيما بعد ؛ هذا كل ما

أبغيه . . أطأ هاته الرخامات التى شاهدتنى  
معك ، أبارك هاته البلاطات ، وتلك الفنون .  
أبارك شمس فبراير . . أدع حبيبى هنا ،  
حيث عما قليل - ودون خلاف - تشرع  
أشجار البرتقال تنغم . . وداعا ، أيها  
القصر حيث استقرت فيه حياتى - فى  
عذوبة - ، أيتها الأبعاد التى سمعتنى  
أضحك ، أيتها الميلاء ، الفوارة ، الرقيقة ،  
أيتها الأشجار الأشجار العوالى التى ستظل  
تورق زمنا طويلا . بعد قرون حين يجىء  
أناس آخرون يزورون هذا القصر ، يعرفون  
قصة حبيبى الحزينة . . وداعا ، أيتها الجدران  
التي ضمتنى منذ أن كنت طفلا مثل طائر  
يتيم . . . إلى اللقاء الوشيك ياماريا دى  
باديا ، يا رفيقتى ، إلى اللقاء الوشيك جدا ،  
لأننى سأبحث عنك - فى عنف - بأسنانى  
وأظفارى ، بشهوات رجل حديث الزواج ،  
فى أى مكان تكونين فيه ، تحت زهور  
البرتقال ، وتحت الورود ، فى الضفة الأخرى  
من الربيع .



قصر الحمراء





**مولاي الحسن :** امض أيها المسيحي ، وقل لمن أرسلك إن ملوك غرناطة الذين كانوا يدفعون الجزية قد ماتوا . ومن الآن فصاعدا لم يعودوا يصنعون الذهب هنا . بل الحديد والسيوف من أجل الأعداء .

**فرناندو :** حسن ، بما أنهم قد أرادوا هذا ، فيأني سأنزع تلك الرمانة حبة حبة .

**أبو عبد الله :** منذ عشر سنوات فقط ، تحدى مولاي الحسن ( أبى ) بهذه الصورة ، وبهذه الصورة أيضا أجاب فرناندو ( الملك الكاثوليكي ) على هذا التحدى ، هكذا بكلمات قلائل يتحدد مصير . . عشر سنوات قصار تكفى ضد ثمانئة سنة .

**هـريمة :** فى ثمانية قرون . لم تسترح كل من قشتاله وأراغون .

**أبو عبد الله :** ونحن مع ذلك نترك أنفسنا يحملنا العبق شيئا فشيئا .

**هـريمة :** لقد ولدنا هنا ، هذه كانت أرضنا ، هنا كنا نستمع إلى الأغنية الأخيرة ، من الذى

كان في وسعه أن يخبرنا أن الأمور تكون  
على هذا النحو ؟ : تغرس الفن والجمال  
مثل الياسمين والآس . ولدى شجر الرمان  
نطالع كتب العلم ، ونقبل ثغر المحبوبة :  
ثغرك يا مريم ، مثل زهر الرمان لم نفكر في  
أنه من خارج البستان يهيبُ القدر لنا المديّة  
واللحظة . . . . فقدنا حياتنا في سبيل الرقة .  
**مريم** : بسرعة فائقة بادلنا بخو ذاتنا عمائم  
مطرزة . وبسرعة فائقة نسينا أن السلام لا  
تحققه إرادة واحدة . . . .

**—رؤية :** بسرعة فائقة بادلنا بخو ذاتنا عمائم  
مطرزة . وبسرعة فائقة نسينا أن السلام لا  
تحققه إرادة واحدة . . .

## الشاعر الجوال : بينما كان يتجول الملك العربي

## في مدينة غرناطة

## من باب البيرة

## إلى باب الرملة

## وصلتہ رسائل

## تخبره بسقوط الحامة

## رمى بالرسائل فى النار

## وقتل الرسول .

**أبو عبد الله : آه أيتها الحامة ، حامتي أنا كانت هذه هي**

الحبة الأولى من الرمانة ( غرناطة ) من هناك  
بدأ الألم . . . ومنذ ذلك الحين تخلت أُمي  
عائشة عن عرشها وتاجها لثريا المسيحية  
الأسيرة إيزابل دى سوليس . وقررت الانتقام  
. . . كنت أنا سلاحها ، تصديت لأبى ،  
سانده بنو السراج ، تدفق دم بنى السراج  
أكثر من ارتفاع هذه النافورة . . . كنت  
ابن عشرين سنة ، فى المساء كنت أسمع  
ارتطام الصرخات فى أحياء الصناعة  
الشعبية مثل الطيور العمياء . . . وانبترت  
زهرة المحاربين النصرين هذا المساء فى هذه  
القاعة .

**الشاعر الجوال : ( متهما ) قتلت بنى السراج**

كانوا زهرة غرناطة  
وجمعت المنشقين  
من قرطبه  
لذا تستحق أيها الملك  
أن تعاني هما عظيما

أن تفقد نفسك وعرشك

وأن تسقط غرناطة

**أبو عبد الله :** لقد حبسنى أبى ، وحبس السلطانة عائشة ،

وبراقعها وبراقع وصيفاتها أجبرنى أن أتدلى

من البرج ، وفى البيازين بايعنى من بقى من

بنى السراج ملكا ، حاربت أبى ، نزف الدم

شآبيب فى الشوارع . كل شىء كان مذبحة ،

كان فناء ، كان مهلكة . الجار ضد جاره ،

والقريب ضد قريبه .

**الشاعر الجوال :** بنو الصغير ، وبنو الجمل

وبنو الزرقى ، وبنو عوض الله

وبنو غز ، وبنو بورتليس

وبنو السراج ، وبنو معزو

والفخارون ، وبنو شيش

والفردقى ، والفرار

كلهم يبكرون ليغرقوا الفجر فى الدم

**أبو عبد الله :** أبى مولاي الحسن ، وعمى الزغل لاذا بمالقة

**هــريمة :** . . . إتنى أعبدك يا غرناطة ، وأنت يا أبا عبد

الله . .

**أبو عبد الله :** أنت يا مريمه ، وغرناطة الفضليان لدى ،  
لذا وددت أن أخالط فرحة الحمراء : حاولت  
أن أجعل من اسمي ( أبو عبد الله الصغير )  
اسما كبيرا ، حاربت النصارى . . .

### الشاعر الجوال

من باب البيرة هذا  
زحف الجيش اللهم  
كم فيه من وجوه المسلمين  
كم فيه من كمت الخيول  
كم فيه من رماح مشرعة  
كم فيه من بيض الصفائح  
كم فيه من بزة العسكر الخضراء  
كم فيه من جباب قرمزية  
كم فيه من ريش وأناقة  
كم فيه من فحول الخيول  
كم فيه من حوالأحذية  
كم فيه من أعصبة توشحه  
كم فيه من مهاميز ذهبية  
كم فيه من ركاب فضى

كان الجميع صناديد  
عركوا رحي المعارك  
وفى قلب هذه الكتيبة الجرارة  
يمضى ملك غرناطة الصغير  
ترمقه المسلمات من بروج الحمراء  
يلبس عمامة مطرزة  
فيها سطر يقول :  
« طريقى الأثير هو الحب »  
يربط القلنسوة والجبهة  
شال أخضر  
وبين ريشتين ذهبيتين  
ريشة بيضاء مثبتة  
فيها سطر يقول :  
« نفس واحدة فى جسدين »  
شال وعباءة  
لونهما بنفسجى  
بتطريز يقول :  
« أنت شمس آمالى »  
ناظرا إلى سيدة مسلمة

فى أبراج الحمراء  
هى أمه الملكة المسلمة  
تحدثه هكذا :

« ليحفظك الله يا ولدى

وليحرسك النبى محمد » .

**هــريمة** : لم يفدك شيئاً ، كنت لا تزال تنظر إلى من  
باب البيرة ، وعند الخروج مرق ثعلب من  
أمامك . أطرحت النذير الشؤم يا أبا  
عبد الله ، وغدوت أسيراً فى لوشه . . .

**الشاعر الجوال** : ( رسول ) لقد خسر الملك الصغير

وانقض من حوله من كانوا معه  
لم يهرب أحد :

فهم : أسير ، وقتيل ، وجريح  
كانوا جموعاً غفيرة

وأنا وحدى الذى تزودت

للإتيان بمحنة جديدة

من البلية العظمى التى حدثت

**هــريمة** : بقيت غرناطة بلا نور ، بلا نور ، والملكة



عائشة ، بلا نور ، وأنا . . .

**الشاعر الجوال :** سيكون ملكهم الصالح

الحبيب العزيز

يتظلمون إلى النبي محمد

الذي تخلى عنه

كل جواهره ترخص

في سبيل افتدائه :

حتى حلى نسائه وخلا خيلهن

وأمشاطهن من الذهب الإبريز

**الراوي :** ( في حياذ يكاد يقطع الشاعر ) هذه هي

شروط الفداء : يعلن أن أبا عبد الله معاهد

وفي للملكين الكاثوليكين ، يدفع جزية

سنوية قدرها اثنا عشر ألفا من الدوبلة

الذهبية ، ويفك أسر أربعمئة أسير مسيحي

ويستجيب بصورة دائمة حين يطلب منه أن

تمر في أراضيه قوات تذهب لقتال أبيه

مولاي الحسن أو عمه الزغل ، وأن يحضر

إلى بلاط الملكين الكاثوليكين حين

يستدعى . . وأن يسلم ابنه وأبناء الأمراء

المسلمين رهينة لتوكيد الميثاق .

**أبو عبد الله :** قدر حزين أن تكون مأمورا .. لقد غدوت  
الآن سلاح النصارى ضد عمى الزغل -  
كما كنت قبل ذلك سلاح أمى ضد مولاي  
الحسن . . .

**هــريمة :** أنا وأمك استقبلناك فى البيازين . . .  
واستغل أبوك هزيمتك ، فاستقر فى الحمراء  
. . بينما كانت الجلبة والطبول تحمس بنى  
السراج ، وكنت أفكر فى ولدنا وهو فى  
قصر قرطبة بعيد جدا ، يبسط ذراعيه فى  
الظلام باحثا عن أمه . . . دون جدوى .

**أبو عبد الله :** وأنا لكى أحقن دم شعبى النازف قبلت  
المشاركة ، ونأيت عن ألمرية ، وللمرة الأولى  
انشطرت مملكة غرناطة شطرين ، واقتلع  
الشجر . . .

**الشاعر الجوال :** ألورا ، أيتها القريبة

الواقعة بجانب النهر  
لقد اقترب منك السابق  
فى أحد صباحات الأحد

ترين مسلمين ومسلمات  
هاربين إلى الحصون  
المسلمات يحملن ثيابا  
والمسلمون يحملون دقيقا وقمحاً  
والمور يسكيون الصغار يحملون  
الزبيب والتين

**أبو عبد الله :** ألورا ، شنتيل ، فوين ، قرطمة ، رنده . .  
تنازل مولاي الحسن عن العرش يائسا من  
عمى الزغل .

**هــريمة :** كان يعيش الزغل في الحمراء ، ونحن مرة  
أخرى في البيازين . . .

**أبو عبد الله :** والآن غرناطة التي كانت مشطورة  
شطرين .

**أبو عبد الله :** كل مساء ، ناظرا إياه ، كنت تحلم أن تعود  
إلى هذا القصر .

**الشاعر الجوال :** رحل الملك من قرطبة  
وكذلك ملكة قشتالة  
في عام ستة وثمانين  
وأربعمئة وألف

ومعه زهرة الممالك  
وكوكبة عظيمة من الفرسان  
فى طريقهم إلى لوشه  
يريدون الاقتراب منها ..

**هــريمة :** ولدت فى لوشه . . أليطار ، والقائد ،  
وأبى تعود أن يقول لى ضاحكا حينما  
كان يهز الرياحين : « لن تخرجى من هنا  
إلا لكى يناديك بهو الأسود :  
ياسلطانتى » . . . .

**أبو عبد الله :** هذا ما حدث .

**هــريمة :** بيد أنى لم أستطع أبدا العودة إلى  
لوشه .. ولا إلى ألورا ، . . ولا إلى  
موقلين ...

**أبو عبد الله :** ولا إلى جبل الثلج ، ولا إلى قلهمره . .

**هــريمة :** ولا إلى سالارا ، ولا إلى بلش . . .

**أبو عبد الله :** حينما ذاع فى بلش نبأ هزيمة الزغل ،  
قادنى أهل غرناطة منتصرا من البيازين  
إلى الحمراء ، وعادت غرناطة لى مرة  
أخرى .

**هــريمة :** بيد أنك لم تستطع العودة أبدا إلى

مالقه يا أبا عبد الله ، العودة أبدا إلى

مالقة ، كل يوم يتضاءل عالمنا .

**الشاعر الجوال :** لقد صارت مالقة ضيقة جدا

في تصدع وانهيار

منهارة في كل جوانبها

دون أى دفاع

» يرجوك حامد الصغير

مع هذه الزمرة

أن تسلمى هذه المدينة

فليس لديها أى دفاع

تأملى كيف قتل المسيحي

هذا العدد من المحاربين

ألا ترين أن الباقين

يسلبهم الجوع والحياة

لقد خارت قوى غرناطة

ولم يعد ناسها كعاداتهم

فروسية وكبرياء

لأن ملكهم قد قتل »

**أبو عبد الله :** أجل ، فى القريب العاجل ، مهاد

محدود من الأرض سيكفى . . .

**الـراوس :** غزيت مالقة ، انشطرت المملكة النصرية

إلى ثلاث ممالك : يسيطر ملوك قشتالة

على جزئها الغربى من ألورا وموقلين حتي

بلش ، ويسيطر الزغل على المريه وبسطه

ووادى آشى والبشارات حتى المنقر :

وأبو عبد الله الملك الصغير يزهو بمدينة

غرناطة وغوطتها وجبلها ، ظلال ملك ..

**أبو عبد الله :** لقد استخدمنى الملوك الكاثوليك

لإضعاف العدو المشترك ، وفى

وسعهم الآن أن يشرعوا فى الحصاد .

**الشاعر الجوال :** على بسطة يشرف فرناندو

فى يوم الاثنين بعد الغداء

كان يتملى الحوانيت الفنية

التي فى مملكته

يتملى البساتين الفسيحة

يتملى الأرباض

يتملى المحجة العظمى

فى المدينة

يتملى الأبراج الكثيرة  
التي تستعصى على الحصر  
على بسطة يشرف فرناندو  
وسيظل فى داخلها .

**أبو عبد الله :** ( فى بطء ) بورشينا ، المرية ، وادى  
آشى سالوبرينا ، المنقر . . .

**فرناندو :** ها نحن ننتزع حبوب هذه الرمانة حبة  
حبة ( وقفة ) . .

**أبو عبد الله :** ها نحن وحيدان ، يا مريمة ، لقد انتهى  
والدى ، وانتهى الزغل ، وليس لمدينة  
غرناطة سوى ملك واحد .

**أبو عبد الله :** حقيقة نحن وحيدان يا أبا عبد الله ،  
نحن وحيدان ، لا أحد ، لاشيء .

**الشاعر الجوال :** ( رسول مقاطعا ) .

شئ جديد أجيئك به يا سيدى  
سفارة سيئة جدا  
من نهر شنيل البارد  
يقدم أناس كثيرون مسلحون :  
راياتهم منشورة

يسيرون على إيقاع الحرب :

وثمة راية ذهبية

بها صليب فضي

ويقسمون جميعا

على الصورة المرسومة

ألا يخرجوا من الغوطة

إلا إذا غنموا غرناطة

**هــريمة** : أنشودة النصارى

تسمع من الحمراء

وصهيل خيولهم

يؤرق السلطانات . . .

**الشاعر الجوال** : يا إلهى كم تبدو جميلة

فى غوطة غرناطة

كل أسوار المباني

كل القلاع المزخرفة

قبو دائرى

تحيط بك كلها وتستحم

لقد أنشأك الملك دون فرناندو

وعاونه الملكة إيزابل



وفرسان مسيحيون  
قطعوا أشجار الغوطة  
وفوق الجانب الأيسر  
يضعون صليبانا قرمزية

**إيزابيل :** لقد حدثتني يا كولومبوس عن الهند  
الشرقية ، عن تيانجو ، عن قطاي ،  
حدثتني عن الفرديس النائية جدا . .  
اصغ إلي : خلال ما يقرب من ثمانئة سنة  
تنحدر قشتالة تجاه الجنوب بوصة بوصة  
مبهورة بالشمس وفتنتها ، بخضرة  
الخصوبة ، تضغط على أسنانها تغمض  
عيونها ، عانت ما يقرب من ثمانئة سنة  
في طريقها إلى هذا الفردوس القريب  
الذي سلبوه منها ، .. إنك تتحدث عن  
عوالم أخرى ، .. لا أدري هل أنا ملكة  
حقا ، أم لست سوى ربة بيت تعرف  
حساباتها بالعد على الأصابع ، تنفق ما  
تستطيع ، وتراجع المواعيد ، وتهيب  
الراحة لرجالها بعد العمل . . ؟ أصغ إلي

يا كولومبوس : قشتالة متطلعة لا يروقها  
بيتها ، تريده فقط للعودة إليه أحيانا  
لكي تستريح ولذا فهي في حاجة إلي  
من يرعاه لها إنني أنا التي أرعى  
لقشتاله بيتها . . عبر ما يقرب من  
ثمانئة سنة ، حلمنا « بإسبانيا » لكي  
تكون خريطةها التي تشبه إهاب الثور  
كلها لنا ، فقط ينقصنا ثمرة صغيرة :  
أحلى ثمرة ، ولعلها زهرة فحسب :  
أجمل الزهرات وها نحن نلمسها  
بأصابعنا . . أنت تتحدث عن الهند  
الشرقية ، عن معاهدات ، عن مال . .  
ليس لدى يا كولومبوس . في هذا الوقت .  
فرحتي غامرة جدا أن أرى غرناطة أمامي ،  
سأعطيك جواهرى لتشرع في السفر ،  
حتى جواهرى ليس عندي ، إنها مخزونة  
في بلنسية رهينة نظير ديون سالفة . .  
ليس لدى شيء : سوى تلك الفرحة أن  
أعرف أن أسلافي يهتزون طربا في

قبورهم ؛ لأن الاسترداد طريق الصليب  
الطويل فى طريقه إلى التمام . . قشتالة  
مثل هاتيك اللبؤات العجائز التى تنام  
وبين مخالبها بذرة بخور ، تشمه ،  
تتسلى به عن الإزعاجات ، عن أيام مؤلمة  
.. انظر يا كولومبوس كيف تلمع بذرة  
البخور هذه !

**الشاعر الجوال :** ما هذه الحصون الباذخة المتلائة .

ياسيدى ، إنها الحمراء  
والآخر المسجد  
والأخريات الدشارات  
العجيبة الصنع  
والأخرى جنة العريف  
البستان العديم المثال  
والأخرى القباب الحمراء  
حصون عظيمة

**فرناندو :** إذا رغبت فى الزواج منى يا غرناطة

فإننى أمنحك قرطبة وأشبيلية  
صداقا ، وحلوى

**إيزابيل :** لا تحدثوا امرأة جاءها المخاض عن شيء  
آخر : لا تمزجوا رعايتها بشيء آخر ،  
قشتالة تتمخض ، ستأتى أزمنة أخرى ،  
حين يهدأ بيتها من جديد يا كولومبوس  
حينئذ نتحدث عن تيبانجو ، وقطاي ،  
اليوم قطاي قشتالة قريبة جدا ، هنا  
منشورة فى الشمس ، متكئة برأسها  
الجميل على وسادة من جليد . . إيزابيل  
ربة بيت قشتالة تطلب منك الانتظار .

**الشاعر الجوال :** أنشودة النصارى

تسمع من الحمراء

وصهيل خيولهم

يؤرق السلطانات

**هــريمة :** إنهم يقتربون . . ها هم يقتربون . . الألم  
يطرق بيده الصخرية بوابة النبيذ .

**أبو عبد الله :** فى بوابة العدالة ، يد الألم تتدلى إلى  
المفتاح . وتفتح قصورى شيئا فشيئا ..  
ماذا صنعنا ؟ « لا غالب إلا الله ، لا  
غالب إلا الله » . هل كان كذبا ما

حدثونا به ؟ كنا نحن أيضا نحلم :  
«إسبانيا» خلال ثمانية قرون كنا نهتف  
أيضا باسم «إسبانيا» وكل يوم صوتنا  
ينخفض .. نجمة النصرين يأخذ وجهها في  
الأفول ، شمس تشرع في طمسك أيتها  
النجوم الشاردة التي تسطرين القدر الأسيف  
لمن ينهزم .

**هــريمة :** إنهم يقتربون ، ها هم يقتربون ..  
**أبو عبد الله :** أية ملكات أخريات تتكئ تماثيلها النصفية  
في شرفة الواجهة ؟ أية أقدام أخرى ذوات  
أحذية من طرز متعددة تطأ هاتيك القاعات ؟  
أية آذان هيئت فقط على طلقات البارود  
سوف تستمع إلى موسيقى الحب من  
نوافيرنا ؟ لأجل من سوف ينمو النسرين  
والآس ؟ الأقوياء ليسوا في حاجة إلى كل  
هذه الرقائق . . سوف تدوسها سنابك  
خيولهم ، وسوف ينمو العوسج . .

**هــريمة :** فوق قبة أبي الحسن سيضعون مئزر ملكة

اسمها صعب ، لن يكون اسمها عائشة ،  
ولا ثريا . . .

**أبو عبد الله :** فوق الشعار الوحيد لبنى الأحمر « لا غالب  
إلا الله » يكتبون شعارهم هم ، وينقشون  
الحرف الأول من اسم الملك والملكة الفاء  
والياء ( فرناندو وإيزابل ) . . وفوق ألوان  
زليجنا سيرسمون نيرهم وكنانة سهامهم .  
الأقوياء ليسوا فى حاجة إلى جماليات كثيرة  
حسبهم القوة .

**هــريمة :** فى طاقات مباخرنا يصنعون محاريب  
قديسهم ..

**أبو عبد الله :** وفى قصر العدالة يشيدون مصلاهم . .  
**هــريمة :** لا غالب إلا الله .

**أبو عبد الله :** وفى أحواض الوضوء يضعون ماء التعميد .  
**هــريمة :** إنهم يقتربون ، هاهم يقتربون . . وفى  
الحمامات الساخنة حيث تسمع موسيقى  
المعازف الخفية ، وحيث تتكاسل الأجساد  
الرائعة الجمال ، وحيث البخار يعبث عبث  
المئزر الشفيف حيث تطل الشمس باسمه

دون أن تدخل . . فى الحمامات الساخنة  
يخزنون البارود والقمح .

**أبو عبد الله :** حيث كنا سعداء ، نغنى ، سيكونون هم  
أقوياء فقط .

**ـريمة :** حيث كنا أقوياء ولطفاء ، سيضعون هم  
حجارتهم .

**أبو عبد الله :** وعلى الكتب التى فهمنا منها تاريخ  
البشر يضعون النفط عليها .

**ـريمة :** وفى الأماكن التى أحببنا فيها الحياة ،  
سيمضون فيها للموت . .

**أبو عبد الله :** سيجلبون أزهاراً مختلفة ، لغة أخرى ،  
عيونا أخرى . .

**ـريمة :** طريقة غريبة للحب ، ولكون المرأة  
محبوبة .

**أبو عبد الله :** وفى الأماكن التى يستريح فيها رفات  
أسلافنا . . .

**ـريمة :** لا غالب إلا الله .

**أبو عبد الله :** ستنمو أعشاب مهجورة ، سيدنس نبات  
النار ، النصب المرمرية التى ما قبلها غير

الشمس والمطر ، ستنسى القاعة التى دفن  
فيها رفات الملوك .

**هــريمة :** ( بصوت خفيض ) لا غالب إلا الله .  
**أبو عبد الله :** فى أرضنا هذه ، الثمرة ، المزرعة ،  
السعيدة ، سيدفنون موتاهم . . . لقد  
تغير صاحب العالم إلى الأبد . . .

**هــريمة :** سيشهد المرمر الهرم - فى دهشة - مشاهد لم  
تر قط . .

**أبو عبد الله :** . . لكن لن يكون لنا نصيب منها .  
**هــريمة :** هنيئاً للزليج ، ولخنزير بطائن السقوف  
الأشقر ؛ لأنها ستظل فى مكانها ، بينما  
نحن نضوى شوقاً إليها .

**أبو عبد الله :** خدعنا الآس والعوسج ، خدعنى قلب  
غرناطة . .

**إيزابيل :** سيغلق درع قشتاله بثكنة عظيمة ،  
بقلب غرناطة . .

**أصوات :** لقد سقطت غرناطة فى يد دون فرناندو ،  
ودونيا ايزابل ، لقد غدت غرناطة  
لقشتالة !!



**إيزابيل :** غرناطة لنا ، أين كولومبوس ؟ لقد حان الوقت للحديث عن الهند الشرقية .

**صوت :** إنه مضى ياسيدتى ، فى طريقه إلى فرنسا ، ليعرض مشروعه على ملك الفرنسيين .

**إيزابيل :** نادوه ، اذهبوا فى طلبه ، واثابوا به ، ستقوم قشتالة بتحقيق هذه الأحلام ، أمام عتبة الفردوس ، ستوقع قشتالة معاهداتها .

**الشاعر الجوال :** فى مدينة غرناطة

يصيحون صيحات هائلة  
البعض ينادى محمدا  
وآخرون ينادون بالتثليث  
تدخل الصليبان من جانب  
ويخرج القرآن من جانب آخر  
حيث كانت تسمع سور قبل ذلك  
يسمع صليل الأجراس  
يسمع « الحمد لله فى الأعلى »  
بعد إقامة الصلوات الخمس  
الأبراج ليست على هيئة الهلال

ويشاهد تغيير في القلاع  
ملك يدخل سعيدا  
وآخر يمضي باكيا

**الشاعر الجوال :** آه أيتها البيازين الباذخة ، بيازيني  
آه ، لقيساريتي  
حمرائي ، دشاراتي  
مسجدي الجامع  
حماماتي ، بساتيني ، نهري  
حيث تعودت أن أستريح . . .  
من الذي أبعدك عني  
حيث لن أراك أبدا ؟  
حتى هذه اللحظة أراك  
ومن بعيد يامدينتي  
عاجلا لن أراك  
لأنني سأقضي عنك  
عجبا ياعجلة الحظ  
مجنون من يثق فيك  
بالأمس كنت ملكا مشهورا  
واليوم ليس في يدي شيء

**عمائشة :** ابك مثل النساء ملكا مضاعا

لم تحافظ عليه مثل الرجال

**الشاعر الجوال :** برانس ، لا عمائم

لن يقبل المسلمون بمسلمين آخرين

برانس ، لا عمائم

حمراء ، بنفسجية ، أو خضراء

لا مرط ، لا عباءة

لا مآزر ، لا أكسية

لا تقام مبارزات

ولا تخضب السواعد الفتية بالحناء

لا يسعون إلى سيداتهم

في الحضور والغياب

ولا غيرة ملحة

ولا عطايا حب

برانس ، لا عمائم

حمراء ، بنفسجية ، أو خضراء

فالجميع يلبس السواد

يلبسون ثيابا برتغالية

يرون أن القدرة الإلهية

هم عنها مبعدون . .

**أبو عبد الله :** كل شيء يصل إلى ذروته العليا ، يبدأ  
في الانحدار ، لا تتخلوا عن سحر الحياة ،  
وحب الحياة .

أين الملوك ذوو التيجان من يمن	وأين منهم أكاليل وتيجان
وصار ما صار من ملك ومن ملك	كما حكى عن خيال الطيف وسان
دار الزمان على دارا وقاتله	وأم كسرى فما آواه إيوان
كأتما الصعب لم يسهل له سبب	يوما ، ولا ملك الدنيا سليمان
دهى الجزيرة أمر لا عزاء له	هوى له أحد ، وانهد ثهلان
فاسأل بلنسية ماشأن مرسية	وأين شاطبة أم أين جيان
وأين قرطبة دار العلوم فكم	من عالم قد سما فيها له شان
وأين حمص ، وما تحويه من نزه	ونهرها العذب فياض وملآن

حتى غرناطة التى بقيت لؤلؤة فى جبين الإسلام ، حيث يعبد  
الله ..

لا غالب إلا الله . فإنكم ترونها الآن ..  
هل ثمة وطن لإنسان يفقد غرناطة .. البكاء البكاء .  
لأن أى شيء إذا هوى ، فإنما يهوى إلى مكان سحيق .



## المشروع القومى للترجمة

ت : أحمد درويش	جون كوين	اللغة العليا
ت : أحمد فؤاد يلىع	لـ. مانهو باتيكار	الوثنية والإسلام
ت : شوقى جلال	جورج جيمس	التراث المسروق
ت : أحمد الحضرى	انجا كاريتكوف	كيف تتم كتابة السيناريو
ت : محمد علاء الدين منصور	إسماعيل فصيح	ثريا فى غيبوبة
ت : سعد مصلوح / وقاء كمل قايد	ميلكا إيفتش	اتجاهات البحث اللسانى
ت : يوسف الأنطكى	لوسيان غولمان	العلوم الإنسانية والفلسفة
ت : مصطفى ماهر	ماكس فريش	مشطو الحرائق
ت : محمود محمد عاشور	أنثرو سـ. جوى	التغيرات البيئية
ت : محمد معصم وعبد الجليل الأرنؤى وعمر حلى	جيرار جينيت	خطاب الحكاية
ت : هناء عبد الفتاح	فيسواقا شيمبوريسكا	مختارات
ت : أحمد محمود	ديفيد برلونيستون وايرين فرانك	طريق الحرير
ت : عبد الوهاب طوب	روبرتسن سميث	بيانة الساميين
ت : حسن المولى	جان بيلمان نويل	التحليل النفسى والأدب
ت : أشرف رفيق عفيفى	إنوارد لويس سميث	الحركات الفنية
ت : لطفى عبد الوهاب / فلوق القاضى / حسين الشيخ / منيرة كروان / عبد الوهاب طوب	مارتن برنال	أثنية السوداء
ت : محمد مصطفى بدوى	فيليب لاركين	مختارات
ت : طلعت شاهين	مختارات	الشعر التسانى فى أمريكا اللاتينية
ت : نعيم عطية	جورج سفيريس	الأعمال الشعرية الكاملة
ت : يمنى طريف الخولى / بدوى عبد الفتاح	جـ. جـ. كراوثر	قصة العلم
ت : ماجدة العنانى	صعد بهرنجى	خوخة وألف خوخة
ت : سيد أحمد على الناصرى	جون أنتيس	منكرات رحالة عن المصريين
ت : سعيد توفيق	هانز جيورج جادامر	تجلى الجميل
ت : بكر عباس	باتريك بارندر	ظلال المستقبل
ت : إبراهيم اللسوقى شتا	مولانا جلال الدين الرومى	مثنوى
ت : أحمد محمد حسين هيكل	محمد حسين هيكل	دين مصر العام
ت : نخبه	مقالات	التنوع البشرى الخلاق
ت : منى أبو سنه	جون لوك	رسالة فى التسامح
ت : بدر الديب	جيمس به كارى	الموت والوجود
ت : أحمد فؤاد يلىع	لـ. مانهو باتيكار	الوثنية والإسلام (ط٢)
ت : عبد الستار الطوجى / عبد الوهاب طوب	جان سوفاجيه - كلود كاين	مصادر دراسة التاريخ الإسلامى
ت : مصطفى إبراهيم فهمى	بيفيد روس	الانقراض
ت : أحمد فؤاد يلىع	أ. جـ. هويكتر	التاريخ القمصادى لإفريقيا الغربية
ت : د. حصه إبراهيم المنيف	روجر آلن	الرواية العربية

الأسطورة والحدائق	بول . ب - بيكسون	ت : خليل كلفت
نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت : حياة جاسم محمد
واحة سيرة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت : جمال عبد الرحيم
نقد الحدائق	آلن تورين	ت : أنور مغيث
الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت : منيرة كروان
قصائد حب	آن سكستون	ت : محمد عبد إبراهيم
ما بعد المركزية الأوروبية	بيتر جران	ت : عاطف أحمد / إبراهيم قحى / مصود ملج
عالم ماك	بنجامين باربر	ت : أحمد محمود
الهب المزوج	لوكافيو بات	ت : المهدي أخريف
بعد عدة أصياف	ألنوس هكسلي	ت : مارلين تانرس
التراث المغنود	روبرت ج نيا - جون ف آ قلين	ت : أحمد محمود
عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت : محمود السيد علي
تاريخ النقد الأدبي الحديث (١)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت : ماهر جويجاتي
الإسلام في البلقان	ه . ت - تورييس	ت : عبد الوهاب علوب
ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت : مصدر براندو عثمانى الملود ويوسف الأطكى
مسار الرواية الإسبانية الأمريكية	داريو بيانوييا وخ - م بيناليستي	ت : محمد أبو العطا
العلاج النفسي التديمي	بيتر . ن - توفاليس ومستيفن . ج - روجسيفيتز وروجر بيل	ت : لطفي فطيم وعادل دمرداش
الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجنون	ت : مرسى سعد الدين
المفهوم الإغريقي للمسرح	ج . مايكل والتون	ت : محسن مصيلحي
ما وراء العلم	جون بولكنجهوم	ت : علي يوسف علي
الأعمال الشعرية الكاملة (١)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود علي مكي
الأعمال الشعرية الكاملة (٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود السيد ، ماهر البطوطي
مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمد أبو العطا
المحبرة	كارلوس مونيث	ت : السيد السيد سهيم
التصميم والشكل	جوهانز ايتين	ت : صبري محمد عبد الفنى
موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميث	مراجعة وإشراف : محمد الجوهري
لذة النص	رولان بارت	ت : محمد خير البقاعى .
تاريخ النقد الأدبي الحديث (٢)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	ت : رمسيس عوض .
في مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت : رمسيس عوض .
خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت : عبد الطيف عبد الحليم
مختارات	فرناندو بيسوا	ت : المهدي أخريف
نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسيوتين	ت : أشرف الصباغ
العالم الإسلامي في أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمي
ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	لوخينيو تشانت روبريجت	ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد

ت : حسين محمود  
ت : فؤاد مجلى

داريو فو  
ت . س . إليوت

السيدة لا تصلح إلا لرمى  
السياسى العجوز

## ( نحت الطبع )

مختارات من المسرح الإسباني  
صورة الفدائي في الشعر الأمريكى المعاصر  
الابتلاء بالتغرب  
طول الليل  
نون والقلم  
فن التراجم والسير الذاتية  
الحب الأول  
نويرا ماهوجونى  
عالم التليفزيون بين الجمال والعنف  
حروب المياه  
ثلاث زنبقات ووردة  
الأدب الأنطلى  
الأدب المقارن  
راية التمرد

تاريخ النقد الألبى الحديث (٢)  
المختار من نقد ت . س . إليوت  
منصور الحلاج  
الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى  
الجماعات المتخيلة  
ثلاث دراسات في الشعر الأنطلى  
شعرية التأليف  
نقد استجابة القارئ  
مختارات غو تفريد بن  
مساطة العولة  
النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية  
التحليل النفسى للأدب  
تاريخ السينما العالمية  
صلاح الدين والمعاليك في مصر  
مسرح ميغيل دى أوناسونو





الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

---

رقم الإيداع ١١٩٨٢ / ١٩٩٨









## PAISA JES Y FIGURAS

ستظل الأندلس مسرحية مأساوية، تثير قرائح الشعراء والكتاب من عرب وإسبان، ومن أمم أخرى، يلتقطون منها الأحداث الانضجارية - وما أكثر هذه الأحداث - فينسجون منها قصيداً، ومسرحاً، وقصة، ولوحة، وتمثالاً، إلى غير ذلك من صنوف الفن وطرائقه.

وانطونيوجالا - كاتب هذه المسرحيات - شاعر وكاتب مسرحي من قرطبة، عاصمة الخلافة، قبل أن يكون من إسبانيا؛ إذ إنه - في كل كتاباته تقريباً - يتنفس عبق التاريخ الأندلسي، ولا تكاد تحس لديه ما يسمم هذا العبق من تعصب وهوى ذميم، وإن عابه بعض المتنطسين أنه يختار بعض اللحظات الحرجة التي تصم ما هو عربي، ولا تثريب عليه في ذلك الاختيار؛ لأنه اختيار فني لا سياسي ولا عرقي، فهو رجل يناصر قضية «الحرية» في مسرحه، كأنه يدافع عن نفسه، وعن قيمة الفكر، والإنسان المفكر ضد الديماغوجية والسلطة المطلقة، والهوج الذميم، وضيق الأفق باسم الدين، وباسم السلطة، وباسم أي شيء كان.